الجمهـــوريـــة الجزائريـــة الديمقراطيـــة الشعبيـــة
وزارة التعليـــم العالـــي و البحـــث العلمـــي
جامعـــــة أبـــو بكر بلقا يـــد

كليـــــة الآداب واللغات

تخصص :نقد حديث ومعاصر

قسم: اللغة والأدب العربي

مذكـــرة لنيـــل شهادة الماستـــر

تحت عنوان

سميائيـــة الأنســـاق التواصلية لدى سعيد بن كراد

من إعداد الطالبتين:

- برياح سارة
- حرياطي كنزة

تحت اشراف : أ. حمدية **زدام**

لجنـــة المناقشـــة

اللقب والاسم	الرتبة	الجامعة	الصفة
بشير عبد العالي	أستاذ	جامعة تلمسان	رئيسا
أحمد ابراهيم الزوبير	أستاذ	جامعة تلمسان	ممتحنا
حميدة زدام	أستاذة	جامعة تلمسان	مشرفا ومقررا

السنـــة الجامعيـــة: 2021/2020

بسم الله الرحمن الرحيم

اهـــداء

الحمد لله وكفى والصلاة على الحبيب المصطفى وآله ومن وفى

الحمد لله الذي وفقنا لتتمة هذه الخطوة في مسيرتنا الدراسية بإنجاز

مذكرة التخرج هذه ثمرة الجهد والنجاح بفضله تعالى

أهديها إلى الوالدين الكريمين حفظهما الله

وأدامهما نورا لدربي

إلى زوجي الذي ساعدني

إلى إخوتي الذين شجعوني وإلى زملاء الدراسة متمنية لهم التوفيق

إلى صديقتي العزيزة التي شاركتني هذا البحث "كنزة " متمنية لها

التوفيق في حياتها

إلى كل قسم اللغة والأدب العربي بجامعة أبوبكر بلقايد تلمسان

ســـارة

اهـــداء

أهدي هذا العمل المتواضع :

إلى أبي الذي لم يبخل علي يوما بأي شيء حفظه الله ورعاه

إلى التي تعجز الكلمات عن الوفاء بحقها والإشادة بجميلها

إلى أمي الحنون حفظها الله ورعاها

إلى من قاسموني الحلو والمر إخوتي

إلى جميع الزملاء والأصدقاء وخاصة إلى صديقتي "سارة" التي

شاركتني هذا البحث.

كنـــزة

مقدمة

مقدمـــة

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين ، الحمد لله الذي علم الإنسان ما لم يعلم وجعل الكون كتابا مفتوحا للمتأملين والمتدبرين ، أما بعد: نادرا ما يتمكن الإنسان العادي من إدراك ما تحدثه الإكتشافات المذهلة التي يتوصل إليها العلم يوميا من تغيرات جدرية بفعل البحث المستمر لإكتشاف المجهول في شتى الميادين ، منها السيميائيات التي هي العلم الذي يدرس العلامة في سيرورتها ودلالتها الذي هو موضوعي بحثنا سيميائيات الأنساق التواصل لدى سعيد بن كراد وهو موضوع قديم .

إن السميائيات تنظر للنص من كونه عبارة عن شبكة من الشفرات يقوم القارئ بفكها .باعتبار العلامة ليست إلا علاقة شيء بشيء آخر ، ولا يمكن فهمها بدون فهم إستقرار تحولاتها من عنصر إلى آخر في شبكة ما .

ومن أهم الأسباب التي دفعتنا لاختيار هذا الموضوع كونه من المجالات التي تتصف بالجدية ، وقد اهتم به مجموعة من الدارسين والباحثين ، وقد حاولنا الغوص في هذا الموضوع للإطلاع عليه، ولنفتح المجال أمام الدارسين للإستفادة من بحثنا والإستزادة من أهم الإسهامات العلمية في هذا المجال، وقد جاءت هذه الدراسة لتحقيق هدفين :

الأول هو استكناه هذا الحقل الموحي بالغموض والغرابة ، والثاني هو : تذكر التراث ، لقد إرتأينا من خلال هذا البحث أن نتوقف عند الفجوة التي غفل عنها العديد، وكذا الرغبة الكبيرة في التعريف بالسميائيات اللغوية وغير اللغوية، وبالتحديد لدى عالم من علماء الدرس السيميائي المغاربي سعيد بن كراد من خلال معالجة الإشكالات الآتية :

1- ما هي الخلفيات والإرهاصات النظرية للسميائيات اللغوية وغير اللغوية لدى سعيد بن كراد ؟

2- كيف نتعامل مع الحركات الجسدية باعتبارها نسقا تواصليا محققا للدلالة ؟

ومن أجل الإجابة على هذه الإشكالات قمنا بتقسيم البحث إلى فصلين مسبوقين بمقدمة وتمهيد، فكان الفصل الأول بعنوان : " سميائيات الأنساق غير اللغوية لدى سعيد بن كراد"، والذي بدورة قسمناه إلى مبحثين: المبحث الأول يتناول النسق اللغوي ، أما المبحث الثاني فهو مخصص للحديث عن النسق غير اللغوي وآراء العلماء فيه .

في حين أن الفصل الثاني يتحدث عن سميائية النسق غير اللغوي لدى سعيد بن كراد ، ويتفرع إلى ثلاثة مباحث ، المبحث الأول سنحاول تقديم قراءة لنسق إيمائي يتسم بالتعقيد والتركيب ، والمعنون بسميائية الحركات المصاحبة (لغة الجسد) ، أما المبحث الثاني فنحاول الإجابة عنه بهذا السؤال كيف نمنح الواقعة التواصلية بعدا سميائيا ؟

والمبحث الثالث المعنون بسميولوجيا الأنساق البصرية ، وقد اعتمدنا في بحثنا على بعض المراجع التي ساعدتنا في إتمام هذا البحث من بينها مؤلفات سعيد بن كراد ، مثل كتابه "سميائيات مفاهيمها وتطبيقاتها" وكتب أخرى منها "السيميائيات أصولها وقواعدها" ترجمة رشيد بن مالك ، وغيرها من الكتب المهمة التي تصب في خدمة الموضوع.

ومن العراقيل التي واجهتنا هي صعوبة إيجاد الأبحاث المتعلقة بهذا البحث، إلى جانب ضيق الوقت وقلة الدراسات السابقة التي اعتنت بدراسة هذا الموضوع.

أما المنهج المتبع في هذه الدراسة فقد اخترنا أن يكون المنهج الوصفي المناسب للإستقراء المادة العلمية الخاصة بهذا المجال ، وختمنا بحثنا بعد جهد وعناء في البحث والتقصي بخاتمة ، وهي مفاتيح لمغاليق في حقول معرفية لصيقة بهذا التخصص، تساعد أي باحث مريد.

وفي الأخير نشكر الأستاذة المشرفة التي رافقتنا في رحلتنا العلمية ، والأساتذة الموقرين أعضاء لجنة المنا قشة على مشقة قراءة هذا البحث ،وعلى تحملهم عناء التصحيح والتوجيه والتصويب.

تمهيد

تمهيد :

إنّ المتأمل في تاريخ السميائيات لن يعثر على ملامح واضحة لهذا العلم ، بل سيعثر على شذرات متفرقة ، تدل على أن الإنسان قد تأمل في العلامة منذ التأمل عن قصد المعرفة بل على قصد التشكيك في المعرفة .[1]

فمند البداية كان المنطلق فلسفيا قائما على مبدأ الشك وأول ما بدأ التأمل المنظم في العلامة هم الإغريق في مدرسة الشكلية ومعنى هذه الكلمة اليونانية هو البحث ويتمحور منطق المدرسة في وجود متخصصين يناقض بعضهم بعضا، وقد نبتت نتائجها النظرية والتطبيقية من قبل هؤلاء المتخصصين علوم كثيرة كالإنتروبولوجيا والسميولوجيا والتحليل النفسي والتاريخ ، والخطاب الحقوقي وكل ما له صلة بالأدب والفنون البصرية وغيرها .

فقد فتحت السميائيات أمام الباحثين ، في مجالات متعددة آفاقا جديدة لتناول المنتوج الإنساني من زوايا نظر جديدة حيث ساهمت كثيرا في تحديد الوعي المعرفي .

وينقسم علم السميائيات إلى قسمين، الأول علم العلامات (السيميوطيقا) ، وهو علم يدرس أنساق العلامات والأدلة والرموز سواء أكانت طبيعية أم إصطلاحية .وتعد اللسانيات جزءا من السميائيات التي تدرس العلامات أو الأدلة اللغوية وغير اللغوية ، في حين أن اللسانيات لا تدرس سوى الأدلة والعلامات اللغوية .ومن رواد هذا العلم فرديناند دي سوسور وهو عالم اللسانيات السويسري الذي بشر بميلاد علم جديد أطلق عليه "السميولوجيا" وستكون مهمته دراسة حياة العلامات داخل الحياة الاجتماعية ، وشارل ساندرس بيرس الفيلسوف الأمريكي الذي دعا الناس إلى تبني رؤية منطقية جديدة في التعاطي مع التأمل الإنساني وقد أطلق على هذه الرؤية اسم "السيميوطيقا".

[1]- فيصل الأحمر : معجم السميائيات ، الدار العربية للعلوم ناشرون ، بيروت ، منشورات الاختلاف ، الجزائر ، ط1 ، (1431 ه -2010 م) ، ص 21.

1-السميائيـــات :

أ-لغة : وردت في لسان العرب لفظة العلامة المشتقة من الفعل سام الذي هو مقلوب وسم وزنها "عفل" وهي في الصورة "فعلى" يدل عن ذلك قولهم : سمة فعن أصلها وسم، ويقولون : يسمى بالقصر وسمياء بالمد وسيمياء بزيادة الياء والمد ويقولون سوّم إذا جعل سمة، وكأنهم إنما قلبوا حروف الكلمة لقصد التوصل إلى تحقيق هذه الأوزان، لأن قلب عين الكلمة من إن خلاف قلب فائها ، ولم يسمع من كلامهم فعل مجرّد من "سوم" المقلوب ، وإنما سمع من فعل مضاعف في قولهم : سوّم فرسه ، أي جعل عليه السيمة وقيل : الخيل المسومة هي التي عليها السيمة والسومة: وهي العلامة .[1]

ونجد تعريف هذا المعنى في القرآن الكريم في عدة مواضيع منها قوله تعالى : (تَعْرِفُهُم بِسِيمَاهُمْ لاَ يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا) البقرة (273) وقوله (ونَادَى أَصْحَابُ الأَعْرَافِ رِجَالاً يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَاهُمْ). الأعراف (48).

وتأكد معظم الدراسات اللغوية أن الأصل اللغوي لمصطلح "sémitique" يعود إلى العصر اليونان، فهو كما يؤكد "برنارتومان" من الأصل اليوناني "sémion" الذي يعني علامة و "logos " الذي يعني "خطاب" (...) وبامتداد أكبر "logos" تعني العلم فالسميولوجيا هي علم العلامات" .[2]

ب-اصطلاحا : ككل مصطلح، يتكون مصطلح سميائية حسب صيغته الأجنبية "Sémiotique" أو من الجذرين "Sémion" و "tique" إذ الجذر الأول الوارد في اللاتنية على صورتين هما : "sémion" و"Sema" يعني إشارة أو علامة ، أو ما يسمى بالفرنسية "signe" وبالانجليزية "Sign"... في حين أن الجذر التالي يعني كما هو معروف علم ونشير كذلك إلى الجذر الآخر الذي يعني (علم) في اللغات الأجنبية واللاتنية خاصة، وهو "logic" وهذا ما يمكن أن يراود الذهن من إبهام فيما يتعلق بمصطلحي "Sémiotique" الأمريكي المنبت من "Sémiologie" الفرنسي المنبت.[3]

وبعملية تركيب بسيطة نجد معنى هذا المصطلح هو علم الإشارات أو علم العلامات ... العلم الذي اقترحه "سوسير" مشروع مستقبلي للعلم الذي جاء به (اللسانيات) فيكون العلم العام للإشارة.[4]

---

[1]- بنظر ابن منظور ، لسان العرب ، دار بيروت للطباعة والنشر 12 ، 1968 ، ص 311.

[2]- فيصل الأحمر، معجم السميائيات ، ص 11-12 .

[3]- ن.م ، ص 10.

[4]- فيصل الأحمر ، السميائية الشرعية، ص 10.

إن السمياء أو السميولوجيا كما عرفها "فرديناند دي سوسير" هي عبارة عن علم يدرس الاشارات أو العلامات داخل الحياة الاجتماعية ،[1] والنص الذي هو "اللغة نظام علامات ، يعبر عن أفكار ، ولذا يمكن مقارنتها بالكتابة، بأبجدية الصم إليكم بأشكال اللياقة ، بالإشارات العسكرية، وبالطقوس الرمزية ، الخ... على أن اللغة هي أهم النظم على الإطلاق"،[2]

وبالنسبة إلى موريس، "السيميولوجيا" هي "علم يدرس الإشارات كجزء من الحياة الإجتماعية، أما بالنسبة إلى الفيلسوف تشارلز بيرس فحقل الدراسة الذي يسميه السميائية هو الدستور الشكلاني للإشارات".[3]

وأحد أوسع التعريفات قول أمبرتو ايكوا : "تعني السميائية بكل ما يمكن اعتباره إشارة "[4] أي السميائية حسب إيكو هي علم اشارات داخل الحياة الاجتماعية.

يرى "رومان جاكبسون" أن السميائية "تتناول المبادئ العامة التي تقوم عليها بنية كل الإشارات أيا كانت، كما تتناول سمات إستخدامها في مرسلات وخصائص المنظومات المتنوعة للإشارة ومختلف المراسلات التي تستخدم مختلف الإشارات".[5]

2-أصولـــــها :

من أجل فهم أي فكرة أو طرح، يجب علينا الاستناد إلى الخلفية أو المرجعية المعرفية وكذا الظروف التي أنجبتها، والبيئة التي ترعرعت وتطورت فيها بالإضافة إلى الأسباب التي دفعت بها للوجود.
من المعروف أن علم السيميائيات علم حديث النشأة، إذ لم يظهر إلا بعد أن أرسى الباحث اللساني السويسري "فرديناند دي سوسير" أصول اللسانيات الحديثة في مطلع القرن العشرين مع الإشارة الى أنه قد كانت هناك أفكار سيميائية متناثرة التراتيب غربية و عربية على حد سواء، ولأنه علم استمد أصوله من مجموعة من العلوم المعرفية .[6] تستند السيميائية إذن إلى أرضية فلسفية ثرية تمتد أصولها إلى الفكر اليوناني منذ أفلاطون وصولا إلى آخر البحوث النفسية والاجتماعية مع ماركس ودوركايم، حيث ارتبط ظهورها حسب أكثر الإستقصاءات دقة بأربعة مصادر تأسيسية هي كالآتي :

---

[1]- ينظر ترنس هوكز ، البنيوية وعلم الإشارات ، تر: مجيد ماشطار دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ط1 ، 1986، ص 113.
[2]- بيروجيرو، علم الإشارة ، السيميولوجيا ، دار لاسبا ، دمشق ، 1988 ، بيروت ، ط1 ، 2009 ، ص 23-24.
[3]- دنيال تشاندارت ، ت ر : طلال وهبة ، أسس السميائية ، توزيع مركز الدراسات الوحدة العربية ، ط1 ، بيروت ، تشرين الأول أكتوبر ، 2008 ، ص 27.
[4]- م.س ، ص 28.
[5]- م.س ، ص ن.
[6]- م.س ، ص 31-32.

-الفلسفة التداولية : التي بلورها "بيرس" عندما وضع الأرضية المنهجية والمفاهيمية لعلم عام يدرسنا جميع أنواع العلامات.

-اللسانيات البنيوية : التي شيدها عالم اللغة دي سوسير عندما وضع في نفس الفترة تقريبا مع "بيرس" أي بداية القرن العشرين نظرية مستحدثة لدراسة العلامات اللغوية.

-فلسفة الأشكال الرمزية : التي بلورها الفيلسوف الألماني أرنست كاسيرير الذي وضع قبيل أوساط القرن العشرين تصورات عميقة وغنية حول الأنساق الرمزية . .

أبحاث فلسفية اللغة والمنطق : التي سادت في التقاليد الأكاديمية الأمريكية في منتصف القرن العشرين التي انطلقت من تصورات المنطق الرمزي لمدرسة فينا التي سرعان ما تقاطعت مع مفاهيم بيرس لتفضي إلى مبحث للعلامات عام .[1]

وترجع الأصول الفلسفية للسيمياء الى عدة مدارس وإتجاهات .وقد فتحت هذه التصورات الطريق أمام اجتهادات عملية أخرى مست عدة ميادين مختلفة أدت إلى تشكل عدة مدارس سيميائية مع الحفاظ على العنصر الأساسي السميائية .

إضافة إلى ذلك أخذت السيميائية العديد من مبادئها من الذين اعتبروا اللغة كلها رموزا، كون الفلسفة الوضعية تميل إلى الشكل ، وهو باعتبار اللغة علامة ،والعلامة ركن من أركان التواصل بين البشر والعالم الخارجي .[2]

وتأثرت السيميائيات بالأسس التجريبية فأول من استخدم مصطلح سيميوطيقا في العصر الحديث هو الفيلسوف الانجليزي التجريبي جون لوك من خلال اهتمامه بالطرق الموصلة إلى التعرف على نظام الفلسفة والأخلاق من خلال دلائل العقل التي يستخدمها لفهم الأشياء والتواصل .

كما ارتبط المشروع السيميائي باسم العالم اللغوي دي سوسير، الذي أكد في نظريته اللغوية على تجانس وتألف الوحدات المميزة لمختلف مستويات التنظيم اللغوي وارتباطها بعلم واحد، أطلق عليها اسم السيميولوجيا .[3]

[1]- عبد الواحد المرابط، السمياء العامة وسيمياء الأدب ،منشورات كلية الأداب والعلوم الإنسانية ، ظهر المهراز ، 2005 ، ص 7-8.

[2]- بشير تاوريرت مناهج النقد الأدبي المعاصر ، دراسة في الأصول والملامح والاشكالات النظرية والتطبيقية، دار الفهد الجزائر، ط1 ،2006، ص 110.

[3]- علي شناوة الوادي، النقد الفني دراسة في المفاهيم والتطبيقات الرضوان للنشر والتوزيع ، عمان 2013 ، ص 97.

الإنطلاقة الأولى لتصورات سيمياء حديثة كانت من لسانيات دي سوسير ، وهي الفكرة الأكثر إنتشارا من غيرها ، فكان هذا الظهور علنيا مع دي سوسير ولا ننسى كذلك بيرس لأن أبحاثه كانت في فترة متزامنة مع فترة دي سوسير.

ونجد كذلك أن السيميائية سارت في إتجاهين لا يناقض أحدهما .الأول يحاول تحديد ماهية العلامة ودرس مقوماتها وقد مهد لهذا الاتجاه بيرس ، أما الإتجاه الثاني فيركز على توظيف العلامة لدى افراد المجتمع اللغوي المعين .

دراسة عملية التواصل ونقل المعلومات ، هو أول المقترحات التي طرحها "دي سوسير" في محاضراته سنة 1910 والتي اعتبرها علما مستقبلي يوسع دائرة اللسانيات، ويهتم بحياة العلامات في المجتمع ، قائلا : "ينبغي أن يتساءل أصحاب السيميولوجيا عندما ينتظم أمرها كعلم إذا كانت طرق التعبير التي تقوم على دلائل طبيعية معرفة كالتعبير الكلي بالإشارات ...".[1]

أما عند بيرس كانت ملامح هذا العلم تظهر في نفسه حول كون السيميولوجيا علما لإشارة التي تشمل جميع العلوم الإنسانية والطبيعية الأخرى ، فيقول ليس باستطاعتي أن أدرس أي شيء في الكون كالرياضيات والأخلاق والميتافيزيقا والجاذبية الأرضية ...إلى علم النظام سيميائي .[2]

ويظهر من خلال ما قدمه بيرس ودي سوسير أن بوادر علم للسيمياء كان تظهر بطريقة مباشرة من خلال الدروس والمحاضرات التي كانا يقدمانها اثناء رحلة التأمل في العلامة . ويمكن تلخيص الأصول الفلسفية والمعرفة للسيميائية في النقاط التالية:

- الفكر اليوناني القديم بصفة عامة.
- الفكر الفلسفي والمنطقي
- اللسانيات البنيوية بكل مدارسها واتجاهاتها .
- فلسفة الأشكال الرمزية .

[1]- فيصل الأحمر ، الدليل السيميولوجي ،دار المعية للنشر والتوزيع الجزائر ، ط1 ، 2011 ، ص 9.
[2]- م.ن ، ص 9.

3-اتجاهات السميائية :

أدى تطور السيميائيات وتعدد منابعها إلى ظهور عدد من التيارات أو الاتجاهات السيميائية التي أثرت على مستوى العمل الأدبي وكان من أهمها :

أ-اتجاه يرى أن السيمياء هي دراسة الأنظمة الدالة من خلال الظواهر الاجتماعية والثقافية الملابسة للنص، على خلاف ما يرى دي سوسير وهو اتجاه ساعد في تطوير هذا العلم وضبط مصطلحاته وأسسه مثله في ذلك مثل أي فروع اللسانيات التي تؤكد على دراسة انظمة الاتصال غير اللغوية بخاصة . ولقد اهتم كثير من الدراسين والنقاد بهذا الاتجاه من بنهم رولان بارث، وبيير جيرو، وغريماس، وكورتيس، ومحمد عزام، رشيد بن مالك، وعبد الكبير الخطيبي في بعض أعمالهم.[1]

ركزوا هؤلاء في أعمالهم على تطبيق مفاهيم اللسانيات في شكلها البنيوي، ووجهتها الدلالية الموصلة بالحياة الاجتماعية للأفراد والجماعات ، حيث يرى بارث ان النص الأدبي ليس نتاجا بل هي إشارة إلى شيء يقع وراءه .لتصبح مهمة الناقد تفسير هذه الإشارة واستكشاف حدودها وتأويلها، وبخاصة الحد الخفي أو المعنى العميق .[2]

وتشمل الإشارة في هذا الاتجاه كلا من القرينة والرمز والسمة و المثولة ، وتحيل كلها إلى علاقة بين طرفين مرسل ومستقبل في شكل تنظيم صوري للمحتوى فيما بين المدلولات .[3]

حيث يتم التوافق في هذه الحال بين أشكال التلقي من حيث فهم المحمولات الإشارية وتعدد القراءات وفق عملية استكشاف المعاني المصاحبة ، وهي معان لا توجد في المعجمات ، وإنما تستنطق من السابق واللاحق والمشاكل والمناقض وغيرها من المظاهر التي تزخر بها وحدات النص . ويركز غريماس في ضوء الدراسات الأنتروبولوجية على تحديد عناصر فاعلية الخطاب المرسل في المتلقي والموضوع والمساعد والمعارض التي هي عناصر تمثل أقطاب الصراع الدرامي في النص .[4]

ب-الاتجاه الثاني :

الذي يرى أن السيمياء دراسة لأنظمة الاتصال اللغوية منها وغير اللغوية ، حيث يسعى هذا الاتجاه إلى تحديد هذه الأنظمة المختلفة وفق عدد من الاشارات ومن ضمنها الألفاظ اللغوية، وهذه الوجهة قد تبناها كل من جورج مونان وبريتو وبيرتر وغيرهم ممن اهتموا بهذا الاتجاه ، يرى هؤلاء أن

---

[1]- عبد الكبير الخطيبي ، الاسم العربي الجريح 1974، ترجمة الشاعر محمد بنيس ، منشورات دار العودة ، ط1 ، 1980 ، ص 23.

[2]- محمد غرام ، شعوبة الخطاب السردي ، اتحاد كتاب العرب ، دمشق ، 2005 ، ص 42.

[3]- رولان بارث ، مبادئ علم الأدلة ت/ محمد البكري ، دار الحوار اللادقية 1990، ص 60.

[4] -J COOUET. SEMANTIQUE DE PARIS .H P PARIS 1970 ? P 54.

السيمياء دراسة لأنظمة الاتصال بعامة ، وليست خاصة بالأنظمة الدالة فحسب ، حيث أن بارث يرى حينما قام بدراسة أنظمة اللباس و الغذاء... الخ، فإنه نظر إليها بوصفها أنظمة دالة ، حيث أن مشكلة الرسالة بين المرسل والمرسل إليه قد حلت ، غير أن المشكلة بالذات هي التي كان سوسير قد أثرها على انها موضوع السيمياء، وبذلك يكون بارث قد أغفل المشاكل الأساسية المرتبطة بالانطلاقة من الدلالة الاجتماعية .[1]

من خلال هذه المقولة تبين لنا السّيمياء هي أساس للتواصل عامة ، وبذلك تصبح اللغة أو الرموز اللغوية جزءا من انظمة التواصل مثلها مثل الإشارة والأمثولة حيث ان أصحاب هذا التوجه قد أعادوا إلى النقطة التي انطلق منها دي سوسير.[2]

ج-الاتجاه الثالث :

الذي حاول أن يوفق بين الاتجاهين السابقين ، أي أن الرمز اللغوي والرمز غير اللغوي باعتبارهما يتكاملان مع اللسانيات، حيث أن هناك تضامنا نظاميا بين الدلالة والتواصل في السيمياء، على أساس أن دلالة الاتصال قائمة على نظرية انتاج العلامة واللافت للنظر أن العلامة لا يمكن فصلها عن نظرية الشفرات التي تعد أساس الدلالة .[3]

وفي هذا المنحنى برزت جملة من المقاربات النظرية والتطبيقية تندرج تحتها أعمال كل من الباحث الايطالي أمبر توايكو وجوليا كريستيفا ومحمد مفتاح وعبد الحميد بور ايو وغيرهم .[4]

ويستمد هذا الاتجاه مفاهيمه النقدية من مرجعيات ومدارس لسانية مختلفة ومتباينة، فإذا كانت اللسانيات البنيونية تعد مرجعا أساسا لأصحاب هذا الاتجاه في التحليل النقدي، فإنهم سرعان ما تجاوزوا هذه اللسانيات البنيوية من حيث العمق في استنطاق علامات الفضاء الخارجي للنص وتأويلها ، تقول جوليا كريستيفا : "إن النص ليس نظاما لغويا كما يزعم البنيويون أو كما يرغب الشكليون الروس، وإنما هو عدسة مقعرة لمعان ودلالات متغايرة ومتباينة ومعقدة فمن انظمة اجتماعية ودينية وسياسية سائدة".[5]

وهذه الرؤية تؤول إلى ان مرجعية هذا الاتجاه السيميائي لا نهاية لسانية فلسفية، دينية ، اجتماعية ، سياسية، نفسية...الخ ، بحيث لا يمكن الفصل بين ما هو لساني أو اجتماعي ، بل هو كل مجتمع، أو

[1]- مونان جورج، مقدمة للسيميولوجيا، باريس 1970 ، ص 196.
[2]- دي سوسير، محاضرات في الألسنة العامة، ت/صالح الفرمادي وآخرون ، الدار العربية للكتاب طرابلس ، ليبيا ، 1985 ، ص 36.
[3]- محمد عزام ، شغربة الخطاب السردي ، ص 17.
[4]- محمد مفتاح ، تحليل الخطاب الشعري ، استراتيجية الخاص ؤ، مركز التعاون العربي بيروت 1980 ، ص 110 وبعدها .
[5]- فؤاد منصور ، حوار مع جوليا كريستيفا، مجلة الفكر العربي ، عدد 1982/18 ، بيروت ، ص 122.

عدسة مقعرة مفتوحة لكل المراجعات والقراءات ، ليصبح للنص في هذه الحالة مثل هوائيات الإستقبال ترد عليها برامج لمختلف المحطات.

فعلى المتلقي أو الناقد أن يقوم بفرزها وتحليل رسائلها وتفسير محمولاتها، وفك شفراتها ، بعد استنطاق النص أو الكاتب الذي هو ذلك المداد الموزع على الورق.

مستعينا بكل وسائل التلقي من إدراك وفهم وتأويل.[1]

ومن هنا نجد هذا التوجه يلتقي ويتكامل مع النهانية أو علم النص من حيث استثماره لوسائل التحليل المختلفة من أجل تأويل النص .إن الإتجاهات المذكورة تضعنا أمام عدة إستنتاجات من بينها تعدد الطروحات والآراء وتباينها وتشبعها حول تحديد السميائية أو مفاهيمها وهذا دليل على وجود تعارض يقف حاجزا أمام نموها وتطورها ... يضاف إلى ذلك أن التوجهات النظرية والقرآنية في الدرس السيميائي المعاصر على إختلافها تستنجد غالبا بالنظريات اللسانية، وهذا يوجه المتعدي للنفس الابداعي أن يكون مدركا أن هذا النص الذي يوظف في ثناياه بنى لغوية مفتوحة وبنى لغوية مغلقة، بالرغم من كونها توليدية أو محولة ، ومن هنا فلا يمكن له فهم معانيها وتحديد وظائفها إلا باللجوء إلى بنياتها العميقة الموازية .

2-أبرز أعلام السيميائية :

أ-بارث رولان (1915-1982) : هو سميائي فرنسي ومنظر ثقافي ، عرف بتحليله لأديولوجيا الصور والنصوص الأدبية وأساطير الثقافية الشعبية "، أثر في أفكاره بشأن المعنى الضمني، وأثر ليفي ستراوس في مفهومه للأسطورة انتقل بارث من البنيوية إلى ما بعد البنيوية ، تخلى في كتابه س/ز (1970s/z) عن نظرية السردية البنيوية السابقة وركز على النص ، وانتهى به الأمر إلى اعتبار نفسه "ناتجا لغويا".[2]

ب-البنيوية: يهتم البنيويون بالدرجة الأولى بالمنظومات أو البنى التي يعتبرونها "لغات" ويبحثون عن بنى عميقة ، تقع تحت السمات السطحية للظواهر (كاللغة والمجتمع والفكر والسلوك) يسعون في تحليلهم للنصوص والممارسات الثقافية إلى الكشف عن الشيفرات والقواعد التحتية عن طريق المقارنة بين الظواهر باعتبارها أنها تنتمي إلى المنظومة عينها (مثال ذلك : الصنف) وتحديد وحدات هي مكونات ثابتة ، وأهم مدرسة كوبنهاغن غريماس ، البنيوين : سوسير ، ليفي ستراوس، يامسليف .

[1]- جوليا كريستيفا، برنامج حساء المعرفة ، قناة التلفزة الفرنسية الأولى ، أبريل 1998.

[2] - Vincent Michael Colapitra, glossary. Afsemiotics, pargon house gloddary las research , reading, and witing (wew york : paragon house, 1993).

ج-بيرس ، تشارلز ساندرز (1839-1914) : هو فيلسوف أمريكي وعالم منطق، ساهم بقدر كبير في السيميوطيق (علم العلامات) والفلسفة والمنهجية العلمية ، تحدث في العلامة وأنماطها في كتابه (كتابات حول العلامة).

د- فرديناند دي سوسير (1857-1913) : عالم لغوي سويسري وهو مؤسس اللسانيات والسيميولوجيا ، له كتاب محاضرات في اللسانيات العامة) الذي ألفه عام 1916، يعتبر الأب للمدرسة البنيوية في علم اللسانيات وإعتبر السيميولوجيا علما للعلامات وجزءا من الحياة الإجتماعي .[1]

هـ-كريستيف ، جوليا 1941 : هي أدبية وعالمة لسانية ومحللة نفسية، أنتجت كمية هائلة من الكتب والمقالات التي تعالج التناص والسيميائية ، والتهميش وغيرها[2] ، كانت واحدة من البنيويين الأكثر تأثيرا في فترة البنيوية وهي ترى الدلالة تنتج من العلاقة الجدية .

س-موريس تشارلز وليام (1901-1979) : هو سيميائي أمريكي وهو أول من بادر إلى إرساء تعريف مقصود لمصطلح التداولية وقد عدها جزء من السيميائيات وله كتاب أسس نظرية العلامات وهو مؤيد للنظرية السلوكية[3] .

[1]- دنيال تشاندار، ت ر د طلال وهبة، أسس السيميائية ، ص 378-379-380 .

[2]- م س ، ص 380-382.

[3] -KHAMAS : Albert sebeakh, ed.., encyclonedic dictionary of semiatics, Approaches ta semiotics, 73 editiorial board,… pau boumac rt al inde d. bert and updated. Mouton de oryter 1994.

الفصل الأول :

سمائيات الأنساق التواصلية لدى سعيد بن كرّاد

المبحث الأول : النسق اللغوي

المبحث الثاني : النسق غير اللغوي

المبحث الأول :النسق اللغـــوي

يرى سعيد بن كراد أن السميائيات تحتل في المشهد الفكري المعاصر مكانة مميزة ، فهي نشاط معرفي بالغ الخصوصية من حيث أصوله وامتداداته ومن حيث مردوديته وأساليبه التحليلية ، وهي علم يستمد أصوله ومبادئه من مجموعة كبيرة من الحقول المعرفية كاللسانيات والفلسفة والمنطق والتحليل النفسي ، والانتروبولوجيا ومن هذه الحقول امدت السميائيات أغلب مفاهيمها وطرق تحليلها ، كما أن موضوعه غير محدد في مجال بعينه، فالسيميائيات تهتم بكل مجالات الفعل الإنساني : فيها أداة لقراءة كل مظاهر السلوك الإنساني بدءا من الانفعالات البسيطة ومرورا بالطقوس الإجتماعية و بالأنساق الايديولوجية الكبرى.[1]

وعلى الرغم من أن صياغة حدودها النظرية وتحديد مجالاتها لم تبدأ إلا مع نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين فإننا لا نعدم وجود أفكار سميائية متناثرة في التراث الإنساني بشقيه الغربي والعربي، فقد حفلت كتب الأقدمين بإشارات تخص العلامة ومكوناتها وطرق انتاجها وتلقيها في محاولة لفهم أسرار الدلالات التي ينتجها الإنسان في تفاعله مع محيطه، بل يمكن القول إن البدايات الأولى السميائيات جاءت استجابة للرغبة الملحة في الإمساك بوحدة التجربة عبر الكشف عن انسجامها الداخلي .من خلال الوجه المتحقق ، فما يمثل أمام الحواس شيء متنافر ومتداخل ، فوحدها القواعد الضمنية التي نتحكم في وجوده وتلقيه هي التي تمكن الذات المدركة من التعرف عليه والامساك بمنطقه .

إن البحث عن هذا الانسجام هو الذي قاد الإنسان إلى استخراج مجموعة من المبادئ التي يمكن الاستناد إليها من أجل انتاج كل المفاهيم، أي الانتقال من البعد المادي للعالم الخارجي إلى الامساك بوجهه المجرد.[2]

ومنذ ذلك الحين أحس الإنسان انفصاله عن الطبيعة وعن الكائنات الأخرى ، واستقام عوده وبدأ يبلور أدوات تواصلية تتجاوز الصراخ، والهرولة والاستعمال العشوائي ، اذ بدأ العالم السميائي في الظهور ، وتبلورت أشكال رمزية تستمد قيمتها التعبيرية من العرف والتواضع، وهي الأشكال التي سيطر فيها بعد باعتبارها العلاقة التوسطية بين الإنسان وعالمه الخارجي (ما يطلق عليه كاسيرير الأشكال الرمزية).

[1]- سعيد بن كراد ، سميائيات مفاهيمها وتطبيقاتها ، ص 25.
[2]- .م ،ن، ص 26.

وليس غريبا أن ترتكز الأعمال الفلسفية الكبرى اهتمامها على دراسة العلامة باعتبارها الأداة الأولى التي قادت الإنسان، إلى الانفصال عن طبيعة موحشة يراج علاما ثقافيا حيث سيتأسس ويكتشف طاقاتها العربية الجديدة، بل يمكن القول إن "فلسفة اللغة من الرواقين إلى كاسيرير ، ومن القروسطيين إلى فيكو، ومن القديس أوغستين إلى فنغنمثاين، لم تكف عن مساءلة أنساق العلامات وبذلك تكون هذه الفلسفات قد طرحت بشكل جدري قضية السميائيات".[1] فالإنسان هو الكائن الوحيد المنتج للدلالات وهو الكائن الوحيد الذي يحيا بالوسائط، الذي حول الأصوات إلى أشكال حاملة للمعاني، ولهذا ما كان بمستطاعه العيش في هذا الكون دون الاستعانة بالعلامات.[2]

ولهذا استخرج بعض التيارات السميائية في الإعلان عن انتمائها إلى تصورات فلسفية بعينها ، ولا يجوزها في ذلك دليل : فمادام موضوع السميائيات الأول والأساس هو المعنى وأشكال وجوده، فإننا لا يمكن ان نتجاهل مقترحات الفلسفة في هذا المجال .

ويكفي أن نشير في هذا الإطار إلى أن بعض التصورات السيميائية كمدرسة باريس خير مثال على ذلك لا يمكن فهم اجراءاتها التحليلية ولا منطقاتها النظرية دون التعريف على مبادئ الفلسفة التي تحكم تصورها للمعنى[3] وذاك أيضا وضع السميائيات عند الفيلسوف والسميائي الأمريكي شارل سندرس بورس، فالمنطق في معناه العام ، ليس سوى اسم آخر للسميائيات ذلك العلم الضروري والتشكيلي للعلامات"[4] بل هناك من ذهب إلى أبعد من ذلك، ورأى في فلسفة كانط ترى السيميائيات قائمة الذات، فالتمييز الذي يقيمه كنط بين الأحكام التحليلية والأحكام التركيبية يتضمن نظرة سمائية، كما أن كتابه الأنتروبولوجي يحتوي على نقاش خاص بنظرية العلامات ، أما كتابة المنطق فيمكن قراءته اعتمادا على مفاهيم من طبيعة سميائية.[5]

ورغم اهمية هذه الأصول في تحديد الهوية المعرفية للسميائيات ، فإننا سنهتم بموضوعها وحدودها النظرية ومبادئها التحليلية أكثر من اهتمامنا بأصولها الفلسفية وجدورها التاريخية .[6]

---

[1] -Unberto Eco : sémiotique et philosophie du langage, rd puf, 1988, P10.

[2]- سعيد بن كراد، سميائيات مفاهيمها وتطبيقاتها ، ص 27.

[3] - Aj Gremas : sémiotique stramal éd la rousse 1966 du sens , éd seuil 1970.

[4] -C 5. Peiree ; ecrit sur le signe , ed. seuil 1978, P 120.

[5] -Umbert eco : kant et l'onnithorinque, ed grasset 1997 ; P 70.

[6]- م.س ، ص 28.

السيميائيه وخاصية السيميوزيس :

إن السيميائيات لا تنفرد بموضوع خاص بها ، فهي تهتم بكل ما ينتمي إلى التجربة الإنسانية العادية شريطة أن تكون هذه الموضوعات جزءا من سيرورة دلالية، فالموضوعات المعزولة أي تلك الموجودة خارج نسيج السيميوز ، لا يمكن ان تشكل منطلقا لفهم الذات الإنسانية أو قول شيء عنها، فليس بمقدورها أن نتحدث عن دلالة سميائية إلا إذا نظرنا إلى الفعل خارج تجليه المباشر، فما يصدر عن الإنسان لا ينظر إليه في حرفيته ، بل بدرك باعتباره حالة انسانية مندرجة ضمن تسنين ثقافي هو حصيلة لوجود مجتمع.[1]

هذه السيميائيات تهتم بموضوعات مختلفة تنتمي إلى التجربة الإنسانية وكل مال يصدر عن الإنسان من سلوكات باعتباره حالة ثقافية منتجة للمعاني .

إن كل مظاهر الوجود اليومي للإنسان تشكل موضوعا للسميائيات ، وبعبارة أخرى فإن كل ما تضعه الثقافة بين أيدينا هو في الأصل والاشتغال علامات تعبر عن هذه الثقافة وتكشف عن هويتها ، فالضحك والبكاء ، والفرح واللباس وطريقة استقبال الضيوف وإشارات المرور والطقوس الاجتماعية والأشياء التي نتداولها فيما بيننا ، وكذلك النصوص الأدبية والأعمال الفنية، كلها علامات تعيد أي تحتاج إلى الكشف عن القواعد التي تحكم طريقتها في انتاج معانيها، مستندة في ذلك كل الحالات ، إلى ما تقترحه العلوم الأخرى من مفاهيم و رؤى.[2]

بالإضافة إلى دراستها للنسق اللساني ، الذي يعد أهم الأنساق وأرقامها ، فان السميائيات وسعت من دائرة اهتمامتها لتجعل من كل الأنساق التواصلية التي يستعين بها الإنسان في خلق حوار مع الآخر موضوعا لدراستها ، فجلّ التصنيفات الخاصة بالأنساق السميائية لا تكتفي برصد الأنساق البصرية التي خلقت تراكما هاما من الباحثين النظرية والتطبيقية ، بل تدرج ضمن عالم دراستها مجمل الصيغ التعبيرية التي يستعملها الإنسان بشكل مباشر في حواره مع ذاته ومع الآخر كالشم واللمس والسمع والذوق، فالحواس تنتج صيغا تعبيرية تتمتع بوضع ابلاغي خاص ونظر إليها دائما باعتبارها دعامة أساسية في التواصل الإنساني .[3]

[1]- م.س ، ص 28.
[2]- م.س ، ص 29.
[3] -م.س ، ص 29-30.

و ما يمكن التنبيه عليه هو ان هذه الأنساق التواصلية في المقام الأول بالحواس أي انها تحدد الحالات الأولى للإدراك الحسي والمبني على الإلتقاط المباشر لما يوجد خارج الجسد الإنساني بعيدا عن المفهمة والخطاطات المجردة فالذوق والشم واللمس والبصر والسمع هي المنافد الأولى التي تتسرب عبرها المادة الأولية للإدراك ، وكما سنرى ذلك لاحقا ، فإن السميائية هذه المعطيات الحسية هي وحدها الكفيلة يمنح هذه الأنساق أبعادا ثقافية ، أي تحويلها إلى أداة للأحكام والتصنيفات الاجتماعية ، وسنكتفي هنا بالإشارة عجلى إلى ما يعود إلى النسق الشمي .[1]

من هنا كان التركيز في السميائيات عن طبيعة التدليل راعى المادة التي تشكل سندا للدلالة ، فكل شيء يمكن أن يعزل وينظر إليه باعتباره كيانا مستقلا بذاته ويملك سياقاته الخاصة، وقادرا استنادا إلى عناصر الثقافة ، على انتاج معانيه ، فالمعنى المرئي لا قيمة له ، أو هو هنا فقط لكي يدشر سيرورة لا تعطي نفسها بسهولة .[2]

وهذا امر بالغ الوضوح ، فالسميوز من حيث الطبيعة والجوهر واحدة، إلا أنها في الاشتغال والتحقق ، تختلف بإختلاف الواقع النصية ، فمكونات كل واقعة تعود إلى تحديد النوعية السيميوز وطريقة اشتغالها ، فللسرد قواعد تستند إليها هذه الأشكال التعبيرية من أجل إنتاج دلالاتها، ففي ممارستنا التحليلية كيفما كان موضوع التحليل لا تعين معنى ولا نكشف عن مادة مضمونة مودعة بشكل سابق في الواقعة، فذاك إجراء وصفي لن يمتحنا أية لذة ، ومن ذلك نتقضى أثر السيرورة المنتجة للمعاني، والمعنى ليس شيئا آخر سوى هذه السيرورة ، فهذه التصنيفات المتنوعة لا تعود إلى طبيعة المعاني التي تنتجها الأشكال التعبيرية المختلفة إنما المنتوج الذي تفرزه الإكراهات التي يفرضها نمط بناء كل شكل تعبيري على حدة ، فالتمييز والاستقلالية اتيان من السيرورة الإنتاجية لا من جوهر الدلالات ، فالسميائيات في جميع هذه الحالات هي بحث في المعنى لا من حيث أصوله وجوهره ، بل من حيث انبثاقه عن عمليات بناء نصوصا تسعى أي بحيث في أصول السميوز وأنماط وجودتها.[3]

وربما هذا ما يبرر التمييز بين السميائيات عامة من طبيعة فلسفية ، تكفي بطرح التصورات العامة التي تمكننا من المقارنة بين كل الأنساق المنتجة للدلالة أي السميائيات هي في الاصل صياغة المبادئ فلسفية خاصة بالمعنى ، ويبين سميائيات خاصة تهتم بالوقائع المخصوصة وهي من طبيعة تطبيقية ، فلكل

[1]- م.س ، ص 30.
[2]- سعيد بن كراد ، سيميائيات مفاهيمها وتطبيقاتها ، ص 32.
[3]- م.ن ، ص 32.

لغة سيميائيتها الخاصة باستغلال كل نسق على حده، وهي قواعد تتضمن في أن واحد ما يعود إلى التركيب وما يعود إلى الدلالة ، أي ما يعود إلى طرقة البناء وما يعود إلى المنظور الدلالي ، فلا يمكن لصورة مثلا أن تنتج بنفس الطريقة التي ينتج بها السرد منتجا بذلك مفاهيمه وأدلته الاجرائية الخاصة.[1]

استنادا إلى هذا ، فإن الموضوع الرئيسي للسميائيات هو السميوز المؤدية إلى إنتاج الدلالة ، أي ما يطلق عليه في الاصطلاح السميائي السميوز، والسميوز في التصور الدلالي الغربي هي الفعل المؤدي إلى إنتاج الدلالات وتداولها ، إنها سيرورة يشتغل من خلالها شيء ما باعتباره علامة، فالكلمة او الشيء الواقعي ليس كذلكّ إلا في حدود احالتها على سيرورة فلا شيء يمكن أن يدل من تلقاء ذاته ضمن وجود أحادي في الحدود والأبعاد ، فالواحد المعزول كيان لامتناهي ، ووحدة التحقق من خلاله يمكن أن ينتج دلالة .[2]

إن هذا التصور القائم على وجود سيرورة نطلق عليه السميوز تشتغل باعتبارها بداية وغاية لكل فعل سميائي يجد أصوله الأولى .

في تعاليم المؤسسين الأولين فردناندي سوسير وشارل سندرس بورس، فكلاهما نظرا إلى الدلالة باعتبارها سيرورة في الوجود والاشتغال والتداول، فهي لا يمكن أن تكون معطى سابقا أو لاحقا للفعل الإنسان ، إنما الفعل ذاته فكل فعل ينتج لحظة تحققه ، سلسلة من القيم الدلالية التي تستند في وجودها إلى العرف الاجتماعي وتواضع الاستعمال .[3]

وهذا أمر بالغ الدلالة ، فالتسنين الثقافي هو وحده الذي يمكن الذات المتلقية من فهم هذه القيم واستعاب أبعادها المختلفة، وهذا الطابع يجد مبرره الأساس في طبيعة الفعل ذاته، فكل فعل هو سيرورة مركبة ولا يمكن أن يكون كلية مكتفية بذاتها.[4]

وتلك كانت البدايات الأولى لمسار معرفي جديد سيقوض دعائم كل التصورات القديمة التي كانت ترى في المعنى كما جاهزا معطى خارج السيرورة والكل المعنوي ليس دالا ، وليس بمقدورة أن يكون كذلك ، فلكي يتحول إلى كيان قادر على التدليل عليه أن يندرج ضمن سيرورة ، فالسيرورة هي المبدأ الأساس للامساك بالأنساق الدلالية والابلاغية .[5]

---

[1] -Unberto Eco : sémiotique et philosophie du langage, rd puf, 1988, P10.

[2]- سعيد بن كراد ، سيميائيات مفاهيمها وتطبيقاتها ، ص 33.

[3]- م.س ، ص 33-34

[4]- م. س ، ص 34 .

[5]- م.س ، ن ص .

وبناء عليه ، فإن السميوز نسيجا من العلامات ، فهذا معناه أن ما يحدد هويتها ليس مادة أصلية ولا عناصر معزولة ، بل مفهومة العلاقة ذاته، فالدال باعتباره أداة التعرف الأولى ينتج مدلولا وفق علاقة مبينة على ترابط اعتباطي، وهذه العلاقة هي يحدد فعل إنتاج المعنى وتداولها، فالوظيفة الأصلية للعلامة هي وضعية اختلافية منبثقة عن علاقة وليست حصيلة لمادة مضمونة مكتفية بذاتها وهذا أمر في حاجة إلى توضيح ، فمعرفتنا للعالم تستند إلى العلاقات لا إلى المادة المضمونة الكلية الوجود.[1]

ولقد كان أريسطو كالعادة سباقًا إلى تحديد فحوى التوسط الالزامي بين الحدود المكونة للعلامة ، فقد لاحظ ،وهويت امثل الحالات المتنوعة للإبلاغ والدلالة أن الحوار الإنساني يشترط وجود العناصر التالية "الكلام" و الأشياء والأفكار ، فالأشياء (العالم الخارجي) هي ما تراه حواسنا وما تدركه عقولنا ، أما الأفكار المفاهيم فهي أداتنا لمعرفة الأشياء ، وأما الكلام (العلامات اللفظية) فهو الأصوات المتصلة في وحدات ، وهي مل يخبرني الأفكار ، فبدون علامات لا يمكن تصور أي شيء ، وسيطبق أريسطو عنصرا رابعا اعتبر في مرحلة من مراحل تاريخ البشرية عنصرا حاسما في شكل أي بلاغ وأدواته، ويتعلق الأمر بالكتابة .[2]

وهكذا فإن هذه العناصر ، لا يمكن ان تشتغل مجتمعة دون يكون هناك رابط يجعل منها كيانا قادرا على إنتاج دلالة تخص ، علاقتنا بالكون الذي يحيط بنا : فلا يمكن إدراك الأشياء خارج المفاهيم ، كما لا يمكن صياغة مفهوم واحد خارج الحدود اللسانية ولن تكون الأصوات وحدها دون الإحالة على مفاهيم سوى هواء ، بدون روح ولا معنى ، وستظل المفاهيم جوفاء دون تصور معطيات تبني استنادا إليها هذه المفاهيم جوفاء ، إن هذا الرابط هو ما نطلق عليه سيرورة التدليل السميوز التي تجعل من هذه العناصر علامة مكتفية بذاتها.[3]

وهذه القضايا هي ذاتها التي ناقشها الفكر اللغوي العربي بشكل مباشر أو غير مباشر فوضع اللغة وطبيعتها وعلاقتها بعالم الأشياء كانت عند المشتغلين بهذا الميدان هي المدخل إلى فهم الدلالات وتصنيفها ، بل يمكن القول أنها حددت مواقف لاهوتية متشعبة اتخذت من أدم وقصة تعلمه الأسماء الأشياء منطلقا لتأويلات متباينة يضيف المجال عن الإشارة إلى بعضها ، وهكذا فقد شاع عند اللغويين

[1]- م س ، ص 34.
[2]- ابن رشد : تلخيص كتاب العبارة لأرسطو ، حققه الدكتور محمود قاسم ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 1981 ، ص 57.
[3]- سعيد بن كراد سميائيات مفاهيمها وتطبيقاتها ، ص 37.

والأصوليين والفلاسفة وفقهاء اللغة العرب لأن الأشياء لها وجود في العيان ووجود في الأذهان ووجود في اللسان .[1]

إن ما يجب التركيز عليه في هذا السياق هو الترابط بين المظاهر التي يتخذها الشيء ويدرك وفقها، فهو الذي يشكل كفة السيرورة المنتجة للدلالة وتداولها ، وهذا لن يكون غريبا أن ينظر أغلب هؤلاء العلماء إلى العلامة باعتبارها سلسلة من الروابط لا كيانا أحاديا ، والحاصل أن السيرورة الدلالية تستند إلى علاقات تجمع ، في الغالب الأعم وبين عنصرين هي أقل ، فهي "كون الشيء بحالة يلزم من العلم به العلم بشيء آخر والشيء الأول هو الدال والثاني هو المدلول[2] . أو هي كون اللفظ بحيث متى أطلق فهم معناه للعلم بوضعه والوضع أي التعاقد الاجتماعي ، هو أساس التمثيل ، وإليه تستند عملية المفهمة.

وبناء عليه ، فإن الوحدات الدالة لا تستمد قيمتها من احالتها على مضمون إيجابي يكتفي بتسييج مساحة دلالية مفصولة عن أي سياق ، بل هي كذلك في حدود اسقاطها لعناصر تتقابل معها وتحدد مضامينها المتحققة والممكنة ، فماذا يعني الشر أو الصدق أو الأمل في غياب مضامين نقيضة كالخير والكذب والخيانة ؟ [3]

ومن جهة ثانية ، فإن المضمون الإيجابي في ذاته لا يدرك إلا من خلال شكله، فما ندركه هو شكل وليس مادة، وهكذا فإن إدراك أي مضمون يقتضي تحويله إلى شكل ، وهذا التحول يمر عبر الكشف عن الوحدات الدلالية التي تخبر عن المادة المضمونية، وهي المسؤولة أيضا عن اسقاط السياقات المحتملة ، فالرجل هو المذكر والحي والانسان والراشد وهذه العناصر هي التي تشكل البدايات الأولى لكل سيرورة تدليلية، أما القيم الأخرى المرتبطة بمفهوم رجل من قيل "الشهامة والشجاعة " ، فتلك وحدات تأتي بها الثقافة وهو ما أطرقنا عليه سابقا السياقات المحتملة.[4]

وعلى هذا الأساس ، فإن المعنى ليس محايثا للشيء ولا سابقا عليه، بل هو حصيلة لما تضيفه الممارسة الإنسانية إلى الوجود المادي الذي يميز الاشياء ، فالعلامة كما يقول إيكو : تولد كلما استعمل الإنسان شيئا محل شيء آخر ، فالعلاقة بين الإنسان وعالمه ليس علاقة مباشرة ، إنها محكومة بكم هائل من أشكال المتوسط والدلالة، استنادا إلى ذلك كله ، على حصيلة العلاقات الممكنة بين الشيء الممثل

[1]- الغزالي : انظر معيار العلم في المنطق ، ترجمة أحمد شهيب الدين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1990 ، ص 47.
[2]- الجرجاني علي بن محمد بن علي كاتب التعريفات : تحقيق ابراهيم الأبياري ، دار الكتاب العربي ، 1992 ، ص 139.
[3]- سعيد بن كراد ، سيميائيات مفاهيمها وتطبيقاتها ، ص 35.
[4]- م.س ، ص 35.

وأدلة التمثيل ، وما يبرر كل الإحالات الممكنة الرابطة بين العناصر المكونة للسلوك السميائي هو هذه العلاقات بالذات فالعلامة عند سوسير ، كما هي عند بورس وكل السميائيين اللاحقين ، حصيلة لعلاقة بين حدود تعود في أصلها إلى محاولة لإستعاب المعطي التجريبي ونقله إلى عالم المفهمة التي يصوغ حدودها اللسان الطبيعي في المقام الأول ، "ولقد كانت اللغة اول أشكال التمييز الموضوعي التي ابتكرها الإنسان ، واكتشف معها مقدرته الهائلة على استيعاب ما حوله من خلال تكوين المفاهيم أي من سابقه، وهكذا في سلسلة متصاعدة رافقت ارتقاءه وتقدمه".[1]

وهذا التصور ليس جديدا ، فقد ركز كل الذين اشتغلوا باللغة ، كما سنوضح ذلك في الفصول الآتية ، على هذه الروابط التوسطية ، أي بين ما تغطيه الطبيعة وبين الأشكال الثقافية المحددة للحياة الإنسانية.[2]

ولهذا فإن الألفاظ عند أغلب هؤلاء "دالة على المعاني بتواطؤ لا بالطبع ،[3] فأكثر اهل النظر على أن أصل اللغة أيضا هو تواضع واصطلاح لا وحي وتوقيف".[4]

وعلى هذه الأسباب ، فإن "معنى اللفظ أن يكون إذا ارتسم في الخيال مسموع اسم ، ارتسم في النفس المعنى، فتعرف النفس أن هذا المسموع لهذا الفهم، فكلما أورده المساعي النفس التفتت إلى معناه".[5]

وتوضح كل السياقات السابقة أن الألفاظ دالة عن المعاني ، أما الأشياء فلا دخل لها في تعريف العلامة، فالعالم الخارجي لا يتهرب إلى الذهن إلا باعتباره ما يستوجب النقل إلى اللسان ، ومع ذلك ، فإن استبعاده في تعريف العلامة، لا يعني نفيا لوجوده، إن وجوده الوحيد داخل اللغة موجود مفهومي، فالمفاهيم تحل محله بتعبير بورس ، وهكذا فإن الإرتسام المشار إليه أعلاه ينظر إليه في المعرفة اللسانية الحديثة ، باعتباره اشتقاقا لصورة من موضوع غير محدد ، ويكون هذا الاشتقاق نتيجة سيرورة تقليصية نستبعد العناصر الحيوية لتنتج قسما، والقسم ليس معطى خاصا، بل هو بناء معقد يقوم به التسنين وتختزنه الذاكرة "فالعلامة اللسانية لا تربط بين اسم وشيء بل تربط بين صورة سمعية وتصور ذهني كما حدد ذلك سوسير بشكل قطعي.[6]

---

[1]- فراس : "المعنى والأسطورة " ، دار علاء الدين ، دمشق ، 1996 ، ص 20.
[2]- م. ن ، ص 36.
[3]- ابن رشد، تلخيص كتاب العبارة لأرسطو ، ص 57.
[4]- ابن جنى، الخصائص دار الكتاب العربي ، 40/1 .
[5]- ابن سينا، الشفاء ، ، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر ، تدقيق محمود الخضري ، ص 4.
[6]- سعيد بن كراد، سميائيات مفاهيمها وتطبيقاتها، ص 39.

وهذا ما تؤكده التجربة العادية ذاتها، فالإنسان يحتفظ من العوالم التي تأتيه عبر الحواس بمجموعة من العناصر يقوم بعد ذلك بتحويلها إلى مفاهيم من أجل غايات لسانية ، فأن نرى العالم معناه أن نحوله من مجرد كم مبتذل (الكيانات المختلفة فإذا رأيت رجلا يقف على قارعة الطريق فإني أدرك كيانين: الشخص والقارعة ، فعملية التحديد في ذاتها تعد ابداعا تأويليا حتى وإن كان هذا التأويل تأويلا ضعيفا، وإذا حولت كل هذا إلى خطاب مثل إنه ينتظر الحافلة ، فإنني أتصور بلورة ذهنية مرتبطة بكل العناصر التي تعد شرطا من شروط الإرسالية " .[1]

وهكذا فإن الوجود الوحيد الممكن للعالم ، هو الوجود المفهومي الذي يحول الأشياء إلى كيانات رمزية تتجاوز دلالاتها على نفسها لكي تتحول إلى سند لأبعاد ايجابية وايحائية ورمزية ، فالعلامة هي أداتنا في تنظيم التجربة والإبلاغها .

وهذا ما يحيلنا على قضية من طبيعة أخرى ، ويتعلق الأمر بميكانيزمات الإدراك ذاته، فالالتقاء العالم الخارجي وتحويله إلى كيانات تسكن الذهن على شكل مضامين لسانية ليس عملية بسيطة ، فهو يشير إلى سلسلة من العمليات المنطقية غير مرئية من خلال التجربة العادية، ونكتفي هنا بالقول إن تنظيم التجربة الإدراكية عبر العلامات معناه بناء حقل إدراكي يقود إلى الفهم والتجريد، وفي تصور بورس ، فإن كل تعرف على ما يوجد خارج الذات المدركة لا يمكن أن يكون سوى سيرورة افتراضية .[2]

فهذه السيرورة تربط بين الموضوع المائل أمام العين المدركة وبين مجمل الخطاطات الثقافية السابقة، فنحن نتعرف على ما يوجد خارجنا ومنحه اسما وصفة استنادا إلى دروس الثقافة ، فهي التي منحت هذا الموضوع موقعا مجردا داخل الذاكرة اللسانية وحددت وجوده من خلال خطاطة نستند إليها من أجل التعرف على هوية الموضوع المخصوص فلا يمكن للنسخة في ذاتها أن تكون سندا لواقعة إبلاغية إن هي لم تكن أحد التحقيقات الممكنة للنموذج إنطلاقا من هذا المعطى، عمليات الإدراك لا تتعامل مع النسخة إلا باعتبارها السبيل الذي يقود من جديد إلى إعادة بناء النموذج، وإذا غاب هذا النموذج غابت معه كل امكانيات فهم العالم واستعاب صورة المتعددة .[3]

وهذا ما تأكده التجربة الإدراكية العادية ، فإذا صادف ان لاحظت ليلا وأنا أسير في زقاق مظلم وجود مبنى غامض وتساءلت ما هذا ؟ (وكان بإمكاني أيضا أن أقول على ماذا يدلّ هذا الشيء ؟

---

[1]- م.ن ، ص 40.

[2]- الافتراض يميز بورس بين القياس والاستنباط والافتراض ، في الجهاز المفهومي الذي يقترحه بورس ، لا ينتج معرفة مع كل مستلزماته الدلالية .

[3]- سعيد بن كراد سيميائيات مفاهيمها وتطبيقاتها ، ص 40-41.

فالاستعمال اللساني يشير في هذا المقام إلى هواجس فلسفية) سأركز حينها إهتمامي : أنسق بين المميزات أحاول استحضار بعض الخطاطات التي توفرها لي التجارب السابقة (أي أضع امام النموذج الدلالي مجموعة من المميزات الغامضة وأشكل حقلا إدراكيا ممكنا لقد فهمت الآن إن الأمر يتعلق بقطة فلو كان الأمر يتعلق بحيوان غريب لم يسبق لي أن رأيته (وتجهله الثقافة التي كبرت في أحضانها) فإنني لن أتعرف عليه ، وقد أكوّن عنه انطباعات غير دقيقة ، قد تتطابق مع تسمية خاطئة .[1]

إن الأمر يتعلق بالخروج من التنافر والتعدد والعودة إلى ما يشبه الوحدة المجردة للتجربة، فعندما نحول المتعدد الحدسي المتنوع إلى وحدة المفهوم ، فإننا سننظر إلى المدركات كما علمتنا الثقافة أن نتحدث عنها .[2]

وفي هذه الحالة ، فإن إدراك الشيء وتبين معالمه باعتباره كيانا مفصولا عن الذات المدركة يترادفان مع عملية التسمية ، فالثابت ان التسمية ليست مجرد شيء يضاف إلى الموجة المادية الأصلية ، بل هي سيرورة مركبة تسلك المسار التالي :

مرجع واقعي أو متخيل – مفهمة (تمثيل) انتقاء علامة (تطابق نسبي) فالعملية الأولى تستند إلى قدرة الذات المتكملة على تمثل المرجع (ادراك مفهمة) ، أما العملية الثانية فتكمن في البحث عن مستوى التطابق المنشود.[3]

وعلى هذا الأساس ، يمكن القول إن التسمية هي المدخل الرئيسي إلى نقل العالم الخارجي من وضعه الأصلي داخل طبيعة غير محددة المعالم، إلى دائرة المفاهيم المجردة التي تمنحه موقعا داخل الذاكرة الإنسانية ، فهذه الذاكرة هي وحدها التي ستقود إلى انتاج السلوك السميائي وتقعيده، فاللغة هي التي تمدنا بكل ما نعرفه عن العالم الخارجي ، وهو ما يبيح لنا القول إن الذاكرة الإنسانية هي في المقام الأول، ذاكرة لسانية ، فالأشياء كل الأشياء تطمح إلى احتلال موقع داخل اللسان ، وخارجه لن تكون هذه الأشياء سوى كمّ مادي بلا ذاكرة و لا مستقبل سرعان ما يبلعها النسيان.[4]

[1]- م.س ، ص 41.

[2] -Umbert Eco : kant et l’ormithrinque , P 70.

[3] -Bernazrd Potier : théorie et analyse en linguistique , P 47.

[4]- سعيد بن كراد سيميائيات مفاهيمها وتطبيقاتها ، ص 48.

وبعبارة أخرى إن الواقعي هو القابل للتسمية ، فالكلمات تلتصق بالأشياء لتكشفها عن جوهرها، وتحد الأشياء ، ضمانة على قوة الكلمات ، وذلك هو الاستعمال الأفقي للكلام ، وبفضل اللغة خرج الإنسان من الهمجية ليروض الطبيعة ويخترع الثقافة والعلوم .[1]

ولهذا يمكن القول إن العلامات هي بداتنا المثلى ، بل أداتنا الوحيدة في تنظيم التجربة وتبين موقعنا داخل كون لا يرحم ، فنحن لا نستعمل العلامات كبدائل لواقع لكي نتمكن من التحكم فيها فحسب ، فإنما تستعمل أيضا من أجل تحديد وجود هذه الوقائع ففي استعمالنا للعلامات تقوم في آن نفسه بينية الكون، إننا نقدم هذا الكون لاعتباره مكونا من "فوق" و "تحت" ، "بارد و ساخن" ، من "شر وخير" ، من " رأس وبطن".

إن هذه التميزات هي بطبيعة الحال تميزات اصطناعية ، بالمفهوم الثقافي للكلمة، فالحار لا وجود له في ذاته ، بل هو كذلك في علاقته يسلمه ابتدعها الإنسان لكي يتلائم مع محيطه، أما فيما يتعلق بالألم فكلنا يعلم كم هي نسبية هذه المقولة.[2]

من هنا يمكن النظر إلى السلوك السميائي باعتباره حالة ثقافية تعد نقيض لكل معطى، طبيعيا كان أم بيولوجيا ، فالعين مثلا تصبر وستضل تبصر إلى ما لا نهاية ، لكنها لن تنتج سلوكا رمزيا أي سيميائيا، أما عندما تنتج حركة ويدركها الناس على أنها "غمز" هو الإشارة بالعين والحاجب والجفن كما جاء في لسان العرب ، فإنها ستنزاح عن الفعل البيولوجي لكي تدخل دائرة الثقافي المسن اجتماعيا وحضاريا ، فلا علاقة للغمز بالفعل البيولوجي إلا من حيث السند المادي والدلالة كما هو معروف لا تكترت للمادة الحاملة لها ، لهذا فإن ما يجعل من هذه الحركة سلوكا سميائيا هو التسنين الثقافي الذي لا ينظر إليها باعتبارها فعلا رمزيا ، أما العين فلا قيمة لها إلا من حيث كونها سندا لأفعال متنوعة انتجتها الثقافة.[3]

وعلى هذا الأساس ، لا يمكن أبدا أن تصور حدودا للحياة خارج المضامين التي تحيل عليها اللغات الاجتماعية وعلى رأسها اللسان الطبيعي، فالكلمات كما يقول "ايكو" لا تعين شيئا في العالم الخارجي، إنها سند لمضامين الثقافة ، فالعين لا تلتقط مرجعا معزولا ، بل تختفض بنسخة ثقافية منه، وتلك النسخة هي المضمون الحقيقي للشيء لا مادة تكونه.[4]

---

[1]- م.ن ، ص 43.
[2]- سعيد بن كراد سيميائيات مفاهيمها وتطبيقاتها ، ص 43.
[3]- م.ن ، ص 44.
[4]- م.ن ، ص 44.

وهذا ما يحيل على تصور خاص للمرجع، فما ينتمي إلى العالم الخارجي ، لا يحضر في التجربة الإنسانية من خلال أبعاده الملموسة ، بل هو موجود من خلال إحالته الثقافية، ولعل هذا ما دفع سوسير، كما سنرى ذلك لاحقا، إلى استبعاد الشيء المرجع من التعريف الذي يخص العلامة ، فالعلامة اللسانية عنده لا تربط إسم وشيء ، بل ترتبط بين صورة سمعية وتصور ذهني " وهذا معناه أن ما تحتفظ به الذاكرة ليس مادة ، بل بناء تجريدي لعالم ملموس، أي مفصلة تطال الموضوع في كل مكونات ، فلا يمكن للذاكرة ، المحدودة في الزمان وفي المكان ، أن تلتقط الشيء في كامل أبعاده وكامل صوره وأشكال تجلبه، فتلك مسألة تستعصي على جهد الادراكي الإنساني، ولهذا كان احتمال وجود الشيء من خلال صورة عامة تلغي كل ما يخصص لكي تحتفظ بالعام والمشترك لتكوين القسم الذي ستغطيه التسمية، هو الأمر الوارد في تعريف العلامة وفي تصور اشتغالها ، فالمرجع على هذا الاساس ، لا ينحصر في الذهن إلا من خلال صورة مجردة تحيل على القسم لا على النسخة المخصومة ، فرغم اننا نبصر القط الفعلي الموجود أمام الغير فعليا في " الآن وهنا" ، فإن ما يتسرب إلى الذهن هو صورة من هذا القط وليس القط الفعلي .[1]

إن بورس نفسه لم يكن يتصور الموضوع العنصر الثاني داخل العلامة باعتباره إحالة على شيء مادي مكثف بذاته ، فالبناء الثلاثي للعلامة ، كما سنرى ذلك في الفصل الثاني ، هو جدلية خاصة بميكانيزمات الادراك قبل أن تكون رابطا بسيطا بين عناصر العلامة، فالأول والثاني والثالث هي لحظات مخصومة تقود الذات إلى الخروج من قمقمها لتعقل ما يوجد خارجها ضمن سيرورة تنطلق من الأحاسيس والنوعيات التي ستجسد لاحقا في الموجودات (الوقعة الفعلي) استنادا إلى قانون يحول التجربة الصافية إلى نموذج قابل للإدراك استقبالا ، وعلى هذا الأساس فإن الموضوع عند بورس ليس شيئا بل علامة، أي بناء ثقافي ولهذا يجب أن ننظر إلى الموضوع باعتباره عنصرا داخل السيرورة التدليلية داخل السميوز لا مجرد شيء معزول ومكثف بذاته.[2]

إن وجود الموضوع داخل السميوز لا خارجها هو الذي دفع بالكثيرين إلى التشكيك في مقولة "الواقع" ذات ، فالواقع ليس معطى خارج السميوز ، ولا يشكل وجود خاصا مكتفيا بذاته يمتلك القدرة على التدليل خارج العلامات وفي انفصال عنها "فالظواهر في ذاتها لا تقول أي شيء ، إنها لا

[1]- سعيد بن كراد سيميائيات مفاهيمها وتطبيقاتها ، ص 44-45.
[2]- م.ن ، ص 45.

تحددنا إلا إذا كانت هناك تقاليد علمتنا كيف نقرأ هذه الظواهر ، وعلى هذا الاساس ، فإننا سنعيش وسط عالم من العلامات ، لأننا نحيا وسط الطبيعة ، بل نحيا وسط مجتمع حتى ونحن نمارس حياتنا منعزلين عن الآخرين .[1]

وإذا كان الأمر كذلك ، فإن الواقع هو بناء ثقافي نسبي القيمة والوجود والإدراك ، وهذا ما دفع الكثيرين إلى إعادة النظر في مفاهيم سادت لفترة طويلة من قبيل "الواقعية والصدق ، والانعكاس والحقيقة " ، فهذه المفاهيم لم تعد لها قيمة تذكر في فهم الوقائع والكشف عن مخزونها الدلالي، لأنها تفترض أن الوقائع هو إندراجها ضمن سيرورات السميوز التي لا تنتهي والسميوز انتاج ثقافي للدلالات، لا تعيينا لها.[2]

ألا يمكن القول إذن ، استنادا إلى هذا التصور ، إن السميائيات هي في المقام الأول سيرورة لتحويل العالم من الحالة السديمية والأحادية وانعدام الشكل إلى ما يحدد الأشكال المختلفة للإدراك ؟ وبعبارة أخرى، ألا يمكن أن تكون السميائيات في نهاية التحليل، شكلنة للعالم ؟ إن كل التصورات باختلاف منطقلتها تتحقق على هذا التحديد ، فالشكلنة في البدء وفي النهاية هي تحويل متصل واللا عضوية ولا متمفصل والعديم الشكل إلى موضوعات ثقافية تستدعي النظر إليها باعتبارها عصارة الفعل الإنساني وآثاره فيما يحيط بنا ، فالعبارات التي نصادفها مرارا في أدبيات السميائيات الحديثة من قبيل "اعطاء معنى" أو "توليد معنى" أو "انتاج دلالات وتداولها " تشير إلى جوهر السيرورة السميائية وأشكال تجلباتها فالمتصل مادة عمياء بكماء لا تذل ، ولا تحيل على أي شيء سوى ذاتها ، ووحدها المفصلة احداث شروخ في المتصل تقود إلى إنتاج الوحدات الدلالية ، أي ما يخبر عن المادة ويجعلها قابلة للابلاغ .[3]

ومن هذا المنطلق فإن السيرورة الدلالية التي تقود إلى الكشف عن المعاني وأنماط وجودها من خلال مواد تعبيرية متنوعة هي ما يشكل الموضوع الفعلي والحقيقي للسميائيات فكلمة "شجرة " لا تذل لأن هناك طاقة معنوية حدسية مودعة بشكل قبلي في الكلمة أو في الشيء الذي تحيل عليه ، إن هذه الكلمة قادرة عن إنتاج معانيها من خلال سلسلة من العمليات هي ما يشكل كل سيرورة دلالية : ف/الشجرة / هي مجموعة من الأصوات المنظمة وفق بناء عرقي ، وهذه الأصوات تحيل بدورها على

[1]- سعيد بن كراد سيميائيات مفاهيمها وتطبيقاتها ، ص 46.
[2]- م.ن ، ص 46.
[3]- سعيد بن كراد سيميائيات مفاهيمها وتطبيقاتها ، ص 47 .

صورة ذهنية أو مفهوم خاص بالشجرة، ويعد هذا المفهوم ثالثا سيرورة تقليصية تهم العناصر المحددة لهوية الشيء في العام الخارجي ذلك أن الشجرة لا تدل على كيان مخصوص هذه الشجرة في هذا المكان وهذا الزمان بالذات وليس غيرها ، بل تدل على نموذج عام كل النسخ الممكنة ، وهذا ما يجعل من امكانية التواصل أمرا ممكن ، وهو ما أشرنا إليه حين تحدثنا عن العلاقة بين النسخة والنموذج.[1]

إن هذا الترابط الجدلي بين أداة التمثيل والموضوع يحضر في العلامة من خلاله وجهه المفهوم يستمد قوته من طبيعته الإعتباطية ، وتعد الاعتباطية في سياقنا هذا ، قانونا قبل أن تكون فوضى ، أوتسيبا ، فالذات المتكلمة ليست حرة في اختيارها للدوال من أجل تمثيل لعالم الخارجي لا يمكن أن تعقل إلا من خلال العلامات .[2]

ومن زاوية نظر سميائية ، بإمكاننا استبدال مفهوم "الاعتباطية " بمفهوم آخر "التسنين الثقافي" فما دام كل ما يأتي من الثقافة معرضا للإندثار والتلاشي ، وسيطويه النسيان لا محالة، فإن المضامين التي تنتجها الثقافة هي مضامين عرضية لأنها وليدة التوافق لا حصيلة لمعرفة محادية مصدرها عالم آخر غير عالمنا .[3]

هذه السيرورة ليست خاصة بالكلمات فقط ، فاشتغال الايماءات والطقوس وموضوعات العالم الخارجي يخضع لنفس السيرورة ويتبع نفس القواعد ، فهذه الكيانات لا تدل من تلقاء نفسها لأنها لا تختزن داخلها معاني مسبقة وموجودة بشكل سابق على ظهور السلوك الإنساني المتمفصل في وحدات دالة إنها دالة في حدود وجود ثقافة تستند إليه من أجل الحكم على ظواهر وتأويل الوقائع أو فهم القيم وادراكها.[4]

إنّ انزياح الأشياء والإيماءات عن وضعها الأصلي (المادي) ومعانقتها لعالم لا ينتهي من الدلالات مثال على هذه السيرورة وتحديد لإشتغالها ، فما يصدر عن اليد والرأس والحاجب والمنكبين والأرجل ، وما يقوله الجسد هو يتهادى مزهوا بمفاتنه ، لا يعود إلى نوعيه اللحم" الذي يشكل مادة لهذه السلوكات ، بل الأمر مرتبط بالتسنينات الثقافية المسبقة التي تجعل من الجسد لغة لا تقل تعبير عن وحدات اللسان الطبيعي ، صحيح أن "الإيمائية قد يكون لها عمق كوني، فالأمر يتعلق بتحريك الإنسان لأعضائه ضمن الابعاد الثلاثة للفضاء من أجل الإحالة على عواطف وأوامر وسيرورات وأفكار ،

[1]- م.ن ، ص 48.
[2]- م.ن ، ص 48 .
[3]- م.س ، ص48.
[4] - م.س ، ص 49.

وصحيح أيضا أن الجسد هو ذاته في كل مكان ويخضع باستمرار لنفس الاكراهات الفيزيقية ، إلا أن الأطراف المتحركة داخل هذا الجسد ، والايماءات المتولدة عنها، وكذا سجل الدلالات التي تستنبط منها، ليست كونية ، وتختلف من مجتمع إلى آخر فخلافا لما نعقده أحيانا ، سيكون من الصعب على بياني أن يفهم السجل الايمائي الصادر عن جسد فرنسي .[1]

وفي هذه الحالة أيضا يحق لنا أن نتحدث عن السلوك السميائي المتمفصل في حركة سميوزية لها قواعدها ومنطقها، فكل ملفوظ ايمائي (والملفوظ سلسلة من الايماءات المنتظمة داخل نسق خاص ومنتج لدلالة خاصة) ينتج معانيه الخاصة به، وأي تغيير يلحق بهذا النظام سيقود إلى تغيير في معاني الملفوظات ، ولهذا السبب نظرا لكثيرون إلى الدلالة باعتبارها وحدات ثقافية منتظمة وفق تقابلات لا يمكن أن تدرك إلا من خلال استحضار سياق بعينه ف "المعنى لا يمكم أن يصبح مرقيا إلا في علاقته بالنسق المولدة له " .[2]

إن ارتكاز التدليل عن شبكة مركبة من العلاقات معناه أن ما يحدد هوية ليس مادة اصلية مكتفية بذاتها ، وليس عناصر معزولة عن بعضها البعض ، بل مفهوم العلاقة ذاته، فالدال يحيل المدلول وفق علاقة عرفية اعتباطية، وتقوم هذه العلاقة من خلال اعتباطيتها تلك، بإنتاج المعاني وتداولها وفق قواعد خاصة فالوظيفة الأصلية للعلامة هي وظيفة أخلاقية ، إنها نتاج علاقة وليست حصيلة لمادة دالة بذاتها ، إلا أن العلامة ذاتها في انفصال عن وحدات أكبر لا يمكن أبدا أن يكون هناك تواصل استنادا إلى انفصال عن وحدات أكبر لا يمكن أبداّ أن يكون هناك تواصل استنادا إلى علامات معزولة ، وحتى في الحالة التي نستعمل فيها علامة معزولة كلمة إشارة طرفية، ايماءه يدوية ، فإننا نستند إلى سياق ، إن العلامات تنظيم داخل أكوان السميوز في ملفوظات واثبتت وأوامر وتساؤلات وتنتظم الملفوظات في نصوص، أي في خطاب، ويمكن التأكيد حينها أن لا وجود لسميائيات للعلامة دون سميائيات للخطاب إن نظرية للعلامة كوحدة معزولة ستكون عاجزة عن شرح الاستعمال الجمالي للعلامات ، ولهذا فإن سميائيات للفن يجب أن تكون بالضرورة سميائيات للخطاب والنص، والسياق في هذه الحالة، وفي جميع الحالات أيضا ، هو إشارة إلى مفهوم العلاقة ذاته.[3]

[1]- م.ن ، ص ن

[2] -Eliseo veron : sémiosis de l'idéolagie et du pouvoir , in communication 28, 1978 , P 12.

[3] -Umbert eco : le signe , P 25.

ولقد أشرنا أعلاه إلى مفهوم الدلالة ذاته لا يمكن أن يتأسس باعتباره الأولوية التي تمنح للسلوك الإنساني إلا استنادا إلى وجود رابط أي وجود علاقة تجعل من الغياب فعلا للحضور فالنفي ليس إلغاء الشيء آخر ، بل هو تأكيد لحضور شيء ما ليس باديا من خلال الطرف المتحقق ، فالإنطلاق من الخير لإثبات الشر ليس نفيا للخير بقدر ما هو تأكيد لوجود شبكة علائقية يستند إليها الخطاب من أجل تنويع سياقاته، أي إنتاج مضامينه المتعددة وعي هذا الأساس يجب النظر إلى تحليل باعتباره شبكة كبيرة من العلاقات ، وتشكل هذه الشبكة في ذات الوقت سلسلة من الاكراهات المفروضة على المعنى ، فهي ما يحدد شكل وجود وطرق انتشاره وربما نمط امتلاكه أيضا ، وكل محاولة لتحديد حجم المعنى وسمكه يجب أن تمرّ بالضرورة عبر إعادة بناء هذه الشبكة العلائقية وكل قراءة هي في واقع الأمر محاولة لإعادة بناء النص من خلال إعادة بناء قصيدته، وفق سياقان ليست مرتبة من خلال التجلي المباشر للنص.[1]

إن السيميائيات ليست علما للعلامات ، إنها دراسة للتمفصلات الممكنة للمعنى، فالسميوز لا يمكن أن تكون تدبيرا لشأن خاص بعلامة مقردة ، ولا علما لعلامات معزولة، إن السميائيات هي طريقة في رصد المعنى وتحديد بؤرة ومظانة، غنها طريقة في الكشف عن حالات تمنعه ودلالة وعتجه ولهذا فالسميوز ليست تعيينا لشيء سابق في الوجود ولا رصدا لمعنى واحد ووحيد ، إنها على العكس من ذلك الإنتاج ، والانتاج معناه الخروج من الدائرة الصيقة للوصف الموضوعي أي يحيل على التأويل باعتباره سلسلة من الإحالات المتتالية الخالفة لسياقتها الخاصة .[2]

إن السميوز مطاردة للمعنى لا ترحم فبقد ما يتمنع المعنى ويتحلل ويزداد خنجه بقدر ما تتشعب مسارات السميوز وتتعقد شبكتها وتكبر لذتها ويكبر حجم التأويل ويزداد ثقافة وتماسكا ويؤدي إلى انزلاقات دلالية لا حصر لها ولا عد بتعبير امبيرتوإيكو، وعلى العكس من ذلك ، فإن الفائض في المعنى يحول السميوز إلى لعبة قواعدها معروفة منذ البداية ، ففي هذه الحالة يكون المعنى واجهة مفتوحة بلا خبايا ولا اسرار، وهذا ما يشكل صلب القضايا الخاصة بالجلالة وسبل الكشف عنها.[3]

فمن جهة لا يمكن الحديث عن الدلالة إلا من خلال علاقة هي ذاتها بؤرة لسيرورة لا معطى مكشف بذاته ، ولا يمكن للدلالة من جهة ثانية ان يقف عدد حدود التعيين المباشر للمراجع المادية ما

[1]- سعيد بن كراد سيميائيات مفاهيمها وتطبيقاتها ، ص 51-52.
[2]- م.ن ، ص 52.
[3]- م.ن ، ص 53.

يشير إلى البعد النفعي في التجربة الإنسانية ، فالتوسط بسبب الإنسان وعالمه حالة مسلم بها ، ولا يمكن له للإنسان أن يعي ذاته ومحيطه خارج أشكال الرمزية التي تصوغ مجمل حالات إدراكه وعي ادوات التوسط المشار إليها في الفقرات السابقة، إلا أن وقوف العلامة عند حدود ما يعين ويصف أمر مناف لطبيعة المعنى ومناف لطبيعة الحياة ذاتها ، فالرغبة في خلف محميات دلالية نهرع إليها كلما حاصرتنا الحياة بإكراهاتها النفعية .أمر طبيعي ، بل ضروري ضرورة الفن ذاته، لذلك كانت العلامة أيضا صهدا لدلالات من طبيعة خاصة نطلق عليها الدلالات الايجابية أو المعاني الثانية .[1]

[1]- م.س ، ص 53.

المبحث الثاني : النسق غير اللغوي

النسق نظام كوني الذي تعين فيه نسق متكامل الأجزاء متماسك الجهات والأطراف فهو يرتبط بأدق تفاصيل الحياة الإنسانية ، فمصطلح النسق يتغلغل في كل العلوم الكونية ، التي وجدت لخدمة الإنسان في هذه الحياة ، والنسق ضل انفتاحه على مكون اللغة نجده ينقسم إلى نسق لغوي ونسق غير لغوي الذي يمثل الإشارات والرموز والأيقونات وغيرها من العلامات ، حيث نجد كثير من العلماء تحدثوا في هذا الموضوع ومن بينهم الجاحظ وآراؤه في العلامات غير لغوية حيث يرى أن اللغة هي أداة نقل المعرفة طالما أن حاجة الناس إلى بعض صفة لازمة من طبائعهم[1] أما وضيفة اللغة هي الانتقال من معرفة الخواص إلى معرفة العقول .[2]

أما في مسألة المعاني والألفاظ فيقول أن حكم المعاني خلاف حكم الألفاظ لأن المعاني (...) محدودة، وجميع أصناف الحالات على المعاني (...) خمسة أشياء لا تنقص و لا تزيد أو لها اللفظ ، ثم الإشارة ، ثم العقد ثم الخط ثم الحال، تسمى نصبه، او نصية هي الحال الدال التي تقوم مقام تلك الأصناف ولا تقصر على تلك الدلالات .[3] ، فالبيان عنده فهو مرادف للدلاله، وهو كل ما يكشف النصوص، سواء أكان لغة أو غير ذلك ، لذلك نجده يقول ومتى دل على الشيء على معنى فقد أخبر عنه ، وإن كان صامتا، وأشار إليه وإن كان ساكنا، فهذه الدلالة ،كل ما يوصل إلى معنى معين ،

أ-الأيقونة :

-لقد اهتم بيرس في الدرس السيميائي بالمستوى الأنطولوجي للسيميوطيقا أي في تحديد مفهوم العلامة ومقوماتها وعلاقاتها بما يشبهها.

-ترجمت سيزا قاسم ببرس للأيقونة حيث أنها علامة تحيل إلى الشيء الذي تشير إليه بفضل سمات تمتلكها ، وخاصة بها هي وحدها... قد يكون أي شيء أيقونة لأي شيء آخر سواء كان اصفة أو قانونا بمجرد ان تشبه الأيقونة هذا البرج.[4]

ومعناه أن الأيقونة يكون بينها وبين المشار إليه عاملا مشتركا يربط بينهما مثل الشخص وظله .

---

[1]- محمد الماكري، الشكل والخطاب ، مدخل لتحليل ظاهرتيالمركز الثقافي العربي، الدار البيضاء المغرب ، بيروت لبنان ، ط1 .1991.ص 52.

[2]- نصر حامد أبو زيد: اشكالات القراءة وآليات التأويل ، ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء، المغرب ، بيروت ، لبنلن ، ط6. 2001.ص 54.

[3]- الجاحظ : البيان والتبيين ، ، ، ديوان المطبوعات الجامعية ، بن عكنون ، الجزائر دط .2004، 1/ 57.

[4]- سيزا قاسم، مدخل إلى السيميوطيقا، منشورات عيون المقالات ، الدار البيضاء ، المغرب ،1/ 252.

-واختلف ايكو عن بيرس في مفهوم العلامات الأيقونية أن الرابط بينهما مجرد تشابه ، وقد تجاوز ايكو العلاقة المادية بين الأيقون وما تقترن به إلى علاقة ذهنية تقوم على أساس الفكر والثقافة ، حيث يرى لوتمان أن العلامة الأيقونية لا تقف عند حد التشابه بل تمتد إلى أبعاد ثقافية أخرى.[1]

إن العلامات الأيقونية علامات تلجأ إليها لتتفاهم مع غيرها من منطق انها علامات قابلة للفهم رغم اختلاف الزمن أو الفئات ، فإن استخدامها مثل : اشارات المرور، أو الرسومات البيانية في العلوم مبرر عن التعرف عليها يكون بشكل سريع.

-إن دراسة الأيقونة يقتضي دراسة الظواهر الأيقونية في النص المراد تحليله ومن هنا فإننا بصدد تعدد العلامات وتجاوز النظرة السويسرية التي أفضت الجانب المرئي من معادلتها الثنائية وحصرته في اللساني فقط.

مثال عن الأيقونة :

-لقد استخدمت الحيوانات وسائل متعددة للتواصل فيما بينهما ، وعدد منها يشبه خصائص لغة الإنسان ،كنبعات الصوت ، الحركات ، في الايماء ... هي أنساق تواصلية تحدث عند الحيونات والتي أصبحت موضوعا للسيميائي وجزء كبير منه أيقوني، فماذا يمكننا تسمية تلك الرقصات التي يقوم بها النحل لنقل معلومات مختلفة قد تكون عن مصدر الغذاء مثلا فيأخذ النحل طريقة وصولا إلى القيمة دون سوء فهم لتلك الرقصات ، أما عن عددها فكثير ولكن شكل منها معنا خاصا ، ادن فالتواصل عند الحيوان يكون بفعل الاشارات كرقصات النحل وتغريد العصافير.

وتمثل رأي الناقد سعيد بن كراد من خلال قوله أن الأيقونة علامة لها الخاصية التي تجعل منها ذات دلالة العلامة اللسانية ذات طابع اعتباطي في علاقة الدال بالمدلول ، فإن العلامة الأيقونية ذات طابع تعليلي، أي تكون العلاقة بين الدجال والمدلول قائمة على المشابهة والمماثلة ، وعلى هذا الأساس كانت العلاقة القائمة بين دال ومدلولها علاقة قائمة عن نشأة يجعل من الأول يحيل على الثاني دون وسائط.[2]

[1]- مرجع نفسه ، ص 269.

[2]- سعيد بن كراد ، سيميائيات مفاهيمها وتطبقاتها ، ص 274.

ب-الإشارة :

نحن نرى أن ماهية الأشياء أو مفهومها يتحدد مع الصورة الصوتية لإحداث عملية خلق تصورات ذات تردد نطقي مسموع وذلك بما تسميه بنقطة الارتكاز الصوتي الذي يمارسه الجميع لخلق تلك التصورات وبحركة جوهرية من المحلول الطبيعي الذي تحدده الصورة الخارجية للمحيط:

1-مقترب الصورة الصوتية :

يندرج الغناء ضمن الصورة السمعية التي تحكي أنواعا من الصور الحركية التي تعدمها اشارات سمعية ترتكز عن دوال سمعية كما في غني طويس.[1] الغناء اشارة سمعية ينطلق منها دال سمعي ارتدادي ، تظهر عناصره بصورة تعاقبية وكما نرى في التقطيع الصوتي الآتي (عن ت ن ن ا/طو و و ي ي س) الامتداد السمعي الممتد من الفعل الماضي (غني) وانسجاما مع فاعل الفعل غني ترى سريان النغمة التفاعلية ذهابا إلى فاعلها ، وهذا ارتداد لمحور حركة فعل غني ولد انزياحا صوتيا موسقا بحركة الفاعل (طومس) .

إن الاشارات السميائية المنبعثة من نصوص جنداري القصيمة تشكل المساحة الكبرى للنص مع قدر أكبر للتصرف بالنص السردي مع بقاء رائحة ما للشكل القصصي، لذا فإنه يعمد إلى مزاوجة بين الدال التاريخي والمدلول الحضاري، بل إنه يعمد إلى المزاوجة بين المرئي واللا مرئي وايجاد العلاقة بين الأطراف في مجموعة كلها .

لقد ربط جنداري في بعده الإشارة بلازمة التدليل انطلاقا من الدال إلى مركز التأويل الذي يمكننا أن ننجح بقراءتنا إلا بنجاح التأويل وكما تقول يمنى العيد : لا قراءة خارج التأويل وبالتالي فإن النظر في النص دون تأويل يعني لا قراءته .[2]

2-مقترب سيميائية الألوان والرائحة :

يتجه جنداري في مقتربة اللوني نحو البني الخارجي وصولا إلى العمق، إذ يتحكم من خلالها بافرازات اللون ودلالتها ليحتكم الفتيان إلى سيوفهم الصدنة . إشارة لغوية دالة على العودة إلى الذات بعيدا عن الذل والتردد وقد مازح القاص بعلامات اللون المزمع تحريره فالسيوف متوجهة بريقها . يعني إزاء إشارة اعتباطية ، فالسيف المتوهج ودالة الدوه والمعركة ، أما الصدا فإشارة لزمن الحقول والجين .

---

[1]- محمد مفتاح ، تحليل الخطاب الفكري، استراتيجية النقاض ، ص 78.

[2]- ن م ، ص 79.

واندلعت الروائح[1] اشارة وضاربة مفعمة بالجود فالرائحة تعني الأثر والجزيرة العراقية إحالة إلى و لم النسوة العراقيات بالحضور من العنبر والمسك والكافور والحناء حضارة البلاد الرافدين ، ثم تعمل نساء الأزد على نسق ازياق من ، والنسق دائما يعبر عن مصدر الأنوثة بقريته الاشباع ، تلك اللوعة آخر حيث النسوة مراعا صابرات الرؤوس ليقوم عطر الحناء تاركات أغطبة الرأس بيضاء ، الموشاة بالأحمر والأصفر والأزرق، البرتقالي ، تلك التسوق أو معنى للشمس طريقا ، لتضيء جوانب العتمة في حياة العرب وصولا إلى عتبات الحجرية القلاع والقصور، انطلاقا من الخيام والنسيج ، ذلك التسييج الذي يشكل لحمة العرب وتطور القابلية وصولا إلى عتبات الحجر الأمم ، تلك إشارات سميائية مغطاة بالحذف.

إن المزاوجة بين سيمياء اللون والعنصر هي مزاوجة ثنائية تشتغل على الابتكار في تسويغ نمط الخطاب السيميائي ، إن كان لونا أو عطرا أو فعلا .

وإن اجراء مسخ لما اعتمده جنداري في قصص مجموعته كلها بعطينا انطباعا أن الألوان المتعددة والأطياف والجدور الدالة على كثافة وسائل الموروث والأبطال الأسطوريين ما هي إلا كشف واضح لمخاوف فردية كانت تختبئ في وجدان القاص ولم تكن تلك المصطلحات سواء رمز لمحور الحركة التراجعية التي مرت بكتاب القصة العراقية ممن عاصر القاص جنداري.

ج-الرمـــز :

لعل أكثر استعمالات الرمز شيوعا هي تلك التي تستند إلى صور تناظرية تربط بين وحدات مجردة وأخرى محسوسة تنوب فيها الثانية عن الأولى وتقوم مقامها ، وفي هذه الحالة ينظر إلى الرمز باعتباره صورة دالة تستعمل للإحالة عن مدلول يقابلها عن طريق العرف والتواضع (الحمامة للدلالة عن السلم والدخان دلالة عن النار اللباس الأسود دلالة عن الحزن في الدول الغربية)، وقد أسهمت الأنتروبولوجيا المعاصرة في الكشف عن الكثير من أبعاد هذا التصور وقدرته على إجلاء الكثير من الأسرار الثقافية والحضارية الخاصة برحلة الإنسان عن الأرض ، والرمز من هذه الزاوية يشير إلى الدلالات التي يمكن أن تتسرب في غفلة منا إلى الكلمات والأشياء ، فهو فعل يمنح الأشياء أبعادا تخرجها عن دائرة الوظيفية ، ووفق هذه السيرورة فإن كل شيء يمكن أن يصبح رمزا لحالة إنسانية وفق شروط ثقافية، فاليأس والأمل والحب والتشاؤم كلهم مفاهيم انتقلت من مواقعها المجردة لكي تسكن أشياء وأشكالا وسلوكات .

[1]- ن م ، ص 83-84.

ويعتبر ارنست كاسيرير (فيلسوف ألماني) من الفلاسفة الأوائل الذين أشاروا إلى تصور جديد للرمز من خلال محاولة تحديد طبيعة العلاقة القائمة بين الإنسان وعالمه الخارجي، وكما يرى هذا الفيلسوف ليست مباشرة فإن اللغة والدين والأسطورة والخرافة وكل السلوكات الثقافية هي أشكال رمزية تقوم لحظة إدراكها لما يوجد خارجها بدور الوسيط بين الإنسان وعالمه الخارجي، لهذا فإن كاسيرير لا يتردد في تعريف الإنسان بأنه كائن رمزي ، فهو لا يعيش الواقع في ماديته بل يعيش فمن بعد جديد للواقع هو البعد الرمزي .[1]

فهو يرى أن أهم ما يميز الكائن البشري هو أنه كائن رامز لأنه بفضل الرمز يحصن الإنسان نفسه من الضياع ، أي أن كل ما يصدر عن الإنسان وما يجربه وما يحيط به ليس أشياء معزولة تتخبط في ماديتها، بل إحالات رمزية عن دلالات بالغة التنوع ، فالمعنى لا يوجد في الشيء ، بل إنه حصيلة ما يودعه الإنسان هذه الأشياء من قيم ثقافية هي ما يشكل الذاكرة الإنسانية للكون .

يبين مجدي وهيبة في قاموسه قدرة الرمز على انتاج دلالاته من خلال كل المحسنات البلاغية ، فهو يشمل أنواع المجاز المرسل والتشبيه والاستعارة وما تحمله من علاقات دلالية معقدة بين الأشياء بعضها ببعض، ومن جانب آخر فإنه يميزه عن العلامة التي ترتبط في وجودها الأصلي بدلالة واحدة فالعلامة ليس لها سوى دلالة واحدة لا تقبل التنويع ولا يمكن أن تختلف من شخص إلى آخر ما دام المجتمع قد تواضع عليها ، فالمصباح الأحمر في الطريق تعارف الناس على أنه إشارة إلى معنى قف وليس له معنى آخر ، أما إذا غلق على باب بيته في بعض المجتمعات فيدل على انه بيت دعارة ، وعلى الرغم من اختلاف معناه بحسب المكان الذي يوجد فيه ، إلا أنه في كل مكان على حدة لا ينبغي سوى أمر واحد.[2]

لقد استطاع الإنسان أن ينظم تجربته في الإنفصال عن العالم ، وكذلك يرى بورس في الرمز أداة حاسمة في تنظيم التجربة الإنسانية ، فمن خلال الرمز تتسرب ذاكرة الإنسان إلى اللغة وعبره يدرج الإنسان رغبته فمن أفق مشاريعه الخاصة يمكن الإنسان من التخلص من التجربة الظرفية والمباشرة .

وعرفه بأنه علامة تشير إلى الموضوع الذي تعبر عنه عبر عرف، غالبا ما يقترن بالأفكار العامة التي تدفع إلى ربط الرمز بموضوعه، فالرمز إذن نمط عام أو عرف، أي أنه العلامة العرفية ومثال ذلك

[1] -Ernest cassirerer : essaisur l'homme , ed minuit , 1975, P 43 .

[2]- مجدي وهيبة : قاموس الألفاظ الأدبية ، مدخل رمز ، دار النشر والتوزيع ، بيروت ، 1974.

الميزان الذي يرمز للعدد ، ولهذا فهو يتصرف عبر نسخة مطابقة ، وهو ليس عاما في ذاته فحسب ، وإنما الموضوع الذي يشير إليه .[1]

ويقصد بيرس بالعام، هنا الحالات التي يشير إليها الرمز وهي حالات يحددها حسب قوله : "الوجود الذهني الممكن" وبإمكان هذه الحالات أن تؤثر في الرمز بشكل غير مباشر من خلال تلك الترابطات ، ومن هنا فإن الرمز حسب بيرس يأخذ شكل القرينة غير أنه قرينة من نوع خاص .

فالرمز بمعناه العام، يرتبط بالفعل الإنساني القادر على الولوج إلى أعماق الأشياء واستبهار مكوناتها ومن ثم فهو ليس إشارة بسيطة، بل هو عنصر مهم في تحريك البنية الكلية للغة الشعرية.

[1]- سيزا قاسم ، مدخل إلى السيميوطيقا ، ص 142.

الفصل الثاني

سميائية النسق غير اللغوي لدى

سعيد بن كراد

المبحث الأول : سميائية الحركات المصاحبة (لغة الجسد)

المبحث الثاني: كيف نمنح الواقعة التواصلية بعدا سميائيا ؟

المبحث الثالث : سيميولوجيا الأنساق البصرية

المبحث الأول : سميائية الحركات المصاحبة (لغة الجسد)

الجسد ليس كتلة كلية، والروح ليست طاقة مبهمة توجد خارج الأجهزة التي تكشف عن مناحيها ، إن الأمر يتعلق بجهاز يشتغل كسند للعيش والتواصل وإنتاج الدلالات، إنه لغة او هو لغات لها قوانينها ومنطقها وأسرارها أيضا.

وتلك الحقيقة بديهية، فالجسد يحتل مكانة هامة في حياتنا اليومية ، إنه المبدأ المنظم للفعل، وهو الهوية التي نعرف وندرك ونصنف بها أفعالنا ، فليس غريبا أن نلح في الحديث عنه ونتغنى بجماله وننصت إليه في قوله وفعله ، في جده وهزله وفي سكناته وحركاته، ونهتم به ، حين يمحو ويغفو وينشط ويكسر ويتألم وينتشي ويذبل وينتهيإنما نشدد على شيء هام : ما نقدمه هنا هو قراءة خاصة، الغاية منها الكشف عن الطريق التي ينتج بها الجسد ودلالاته ، والدلالات هنا هي مجمل الطاقات التعبيرية الكامنة في الجسد ، ولذلك سنتجاوز بسرعة البعد النفعي المباشر للجسد، لكي نوجه اهتمامنا إلى استعمالاته الاستعارية المتنوعة ، كما هو الحال في تعاملنا مع اللسان ، فإن ما يستهوينا في أي نسق ليس حدوده المرئية، بل تأليفاته المضمرة التي تستعصي على الضبط وتنقلت من بين أيدي المحلل باستمرار وذلك هو السر الذي يمنح اللعبة لذاتها.[1]

حيث أن الجسد جزء مهم من حياتنا لا يمكن الاستغناء عنه يمكننا من معرفة أفعالنا وأقوالنا وأيضا اللسان وتعاملنا معه .

1-الجسد : الشيء والحجم الإنساني

يوجد الجسد داخل عالم الأشياء ، فهو جزء منها ولا يتميز عنها في شيء ، إنه موضوع ضمن موضوعات لا تعد ولا تحصى ، إنه كالأشجار والاحجار وكجميع الأشياء ، يشكل نسقا ضمن أنساق أخرى تلوذ جميعها بالكون يحتاج عن المعنى وعن دلالة ، فإن كانت كل الأشياء لا تدرك إلا من خلال ارتباطها بهذا الكون الامتناعي الامتداد، "فإن كينونة الجسد تكمن أيضا في ارتباطه بكون ما ، وجسدنا "يوجد في الفضاء إنه الفضاء".[2]

حيث يقوم بملأ الجسد / الشيء بأبعاد تيأس به عن الطبيعة كعنصر منفعل يستوعب القيم ولكنه لا يستطيع انتاجها فإدراك الأشياء يمر عبر وعي مركزي يفصل بين الأشياء ، ويقوم بتهذيبها

[1]- سعيد بن كراد ، سيميائيات مفاهيمها وتطبيقاتها ، ص 192.

[2] -Merleau- Panly (Maurice) : Phonaménologie de la proception , ed Gallimard 1945, P 173.

وترتيبها وتشكيلها وليتشكل عبرها كلحظة وعي تفصل بين الجسد / الشيء وبين الجسد / الحجم الإنساني .

إن شكل الجسد كدال متكامل ومكثف بذاته وقادر على توليد سلسلة لا متناهية من الدلالات انطلاقا من تنوع الأنماط الصانعة لكينونته، هو الخطوة الأولى نحو انفصاله عن الأشياء والغوص في الحقل الثقافي .

فالجسد ليس معطى سابقا على العين التي تدركه وتصفه كجغرافيا ممتدة في الزمنية الإنسانية ، فما قلناه عن "الحجم الإنساني" باعتباره ما يميز الجسد عن الأشياء ، لا يعني أن الجسد روح سابقه في الوجود عن مجموعة النسخ التي يتحدد عبرها الدال الجسدي ، فإذا كانت لحظة الفصل بين الفعل الغريزي والفعل المدرك كعنصر ضمن نسق أو أنساق يقتضي وعي الشيء ذاته أو في حالتنا وعي الجسد لنفسه ، وفي هذه الحالة نكون قد تجاوزنا حدود الشيء الموضوع، إلى ما يشكل العالم الإنساني .
الإنسان بصفته محفلا متجاوزا لنفسه من خلال إنتاجه لحركاته وتنقله في الفضاء.[1]

هذا التقابل بين عنصرين يقودنا إلى الكشف عن تقابل ثان يعود هذا المرة إلى الجسد نفسه ، فإذا كان الإنسان ينتج عبر جسده ، حركات وينتج حالات وجدانية معبرا عنها إما من خلال إجراء فعل ، وإما من خلال حالة اسم، فإن هذا يفترض من جهة وجود برامج مسبقة تستوعب داخلها هذه الحركات ويرسم لها دلالتها أو دلالاتها.

فإذا كانت الحركة ، أية حركة (حركة جسم أو حركة نص ، او حركة رسم...) ، تفرض وضعية سابقة عليها تشتغل إما كنقطة صفر لأية سيرورة مقبلة (تفسرها وتشكل نقطة عودتها) ، وإما كسند ، أي ما يشكل الحزام الأمني لفعل يتحدد في الفضاء ، فإن المحور الأفقي يشكل الساحة الصلبة أو السائلة في حالة السباحة مثلا، أي مكان التنقل الطبيعي الذي يقابل الوضعية الطبيعية مجسدة في حالة الوقوف ، ورغم أن هذه المفصلة ليست مبررة بالشكل الكافي ، فإن التمفصل الأصلي : الأرض أفقية (م) الإنسان عمودي ينظر إليه، عموما ، كوضعية بدائية سابقة في الوجه على الحركة ؟ .[2]
ومعنى هذا اننا ننطلق من وضعية نقول عنها (أو ربما هي كذلك فعلا) أصلية محددة لما سيأتي وتشتغل كمستوى الصفر بين سيرورتين.

[1]- سعيد بن كراد ، سيميائيات مفاهيمها وتطبيقاتها ، ص 193.

[2] -Greimas, du sens , P 58.

وبعبارة أخرى ، فإن النص الجسدي على غرار النص اللساني يقوم ببناء انطلاقا من وجود بياضين ، بشكل فعل بين سكونين في الحالتين معا ، فإن الوضع البدئي لا يدخل ضمن التشكل النصي إلا في حدود اشتغاله كنقطة بداية حيث يتم خرق الصمت (لأننا نعتبر الصراخ وكذا مجرد التلفظ بكلمات انزياحا عن الوضع البدئي كما تم تحديده في الفترة السابق) وانتاج سلسلة من الملفوظات الاحصائية، وإما كنقطة نهاية داخل سيرورة تلفظية ، حيث إن السكون يلي إنجاز سلسلة من البرامج الايمائية التي تدرك باعتبارها إرساء لدعائم دلالة متولدة عن التأليف بين مجموعة من الحركات ، ونكون في حالة الأولى كما في الحالة الثانية أمام مرحلة تدشن انفصال الشيء عن الحجم الإنساني وانفصال العالم الطبيعي عن العالم الإنساني ، وهكذا عوض أن يمثل هذا العالم أمامنا باعتباره شاشة منسجمة من الأشكال ، سيظهر بصفته كيانا ممنوعا من مجموعة من الدوال المتراكبة والمترابطة فيما بينها".[1]

إنطلاقا من هذا ، يمكن القول إن الجسد يلغي نفسه كموضوع من موضوعات العالم ليقدم نفسه باعتباره ما يخبر عن هذه الموضوعات وما يدركها سيكف أيضا عن أن يكون منبعا للغايات العملية والحركات النفعية الناتجة عنها، ليتحول إلى شاهد تشكل مظاهره البناء الثقافي الذي يؤسس ستنمي مرحلة ما .[2] أي أن الجسد يعتبر نفسه مدركا للموضوعات مكتفيا بنفسه شاهد للبناء الثقافي .

2-الحال الجسدي : تداخل العملي والثقافي

إن ما أشرنا إليه سابقا واعتبرناه تمييزا بين البرنامج مجموعة الحركات الدالة على طقس معين : الأكل ، الشرب...) وبين (المضامين المسننة يشكل سابقا والمحتاجة ، لكي تفهم معرفة سابقة) يعد في واقع الأمر تمييزا بين الحركات العملية والحركات الثقافية فإذا كان الجسد يخلق ، عبر تنقله في الفضاء ، سلسلة من الوحدات الايمانية، فإن هذه الوحدات تخلق سلسلة من الأنزياحات تقود إلى نوعين من النصوص الجسدية:

- إما نصوص طبيعية وعي كذلك لأنها تدرك وفق النص الثقافي العادي ، أي ما يعود إلى التجربة المشتركة (إنه يمشي ، إنه يأكل، إنه يشرب).
- واما النصوص الثقافية تدرك باعتبارها خروجا عن المعيار المحدد للفعل الحركي العملي، وفي هذه الحالة ، فإن الانزياح لا يتم انطلاقا من الوضع البدئي ، بل يتم انطلاقا من الفعل الحركي

[1] -Greimas, du sens , P 57

[2]- سعيد بن كراد ، سيميائيات مفاهيمها وتطبيقاتها ، ص 195-196 .

العملي، ما دامت كل الحركات الثقافية متولدة عن الحركات العملية او تدرك وفق قوانينها ، فكل الملفوظات المنجزة من طرف الذات / الجسد ، عبر التنوع الايمائي ، لا تفهم إما من خلال تحديد مسبق للسياق الثقافي الذي تنجزه داخله هذه الوحدات الايمائية.[1]

وعلى هذا الأساس فإنّ التمفصلة المورفولوجي للجسم الإنسان ، رغم كونه بعد أساس كل وصف للجهاز الإيمائي ، ليس إلى أعضاء ، إنه خاضع للتنويعات الأنثروبولوجية .[2] وهذا ما يجعل الحدود الفاصلة بين ما ينتقي إلى البعد العملي وما ينتقي إلى البعد الأسطوري/ الثقافي حدودا هشة وغير منيعة، فعناصر هذا المستوى قابلة لأن تشتغل داخل ذلك المستوى انطلاقا من قوانين وقواعد جديدة، ولن يحد من فوضى هذا التداخل بين المستويات الأمر يتعلق أيضا بتداخل بين مستويات في القراءة وبين المستويات في التدليل) سوى استحضار النص الثقافي العام الذي يؤطر مجموع هذه المستويات ، إن الأمر يعود في نهاية المطاف إلى الرغبة في التخلص من مقتضيات الأبعاد الوظيفية والغايات العملية المسبقة لتحقيق فعل الرغبة في أعلى مستوياته، فكلما تخلص الإنسان من الغايات العملية المباشرة تفتحت أمامه إمكانات التأويل والقراءة.

ومع ذلك ، إذا كانت الوظيفة هي أساسا إرتباط العضو بنسق معين ، فإن الطابع الثقافي لا يؤدي بالضرورة إلى التخلص الكلي والنهائي من ارغامات الغابات العملية ، وعلى هذا الأساس يمكن تناول تداخل هذين المستويين انطلاقا من ثلاث زوايا ، وكل زاوية تجسد إمكانية توليد سلسلة من النصوص التي تدرك وفق قوانين وقواعد هذه الزاوية أو تلك ، الأمر يتعلق في مرحلة اولى بتداخل الثقافي والعملي ضمن تشكل كينونة العضو الواحد ، أي محاولة تحديد نصيب كل عضو من الأعضاء من المضمون الثقافي والعملي / الطبيعي .

ويتعلق في مرحلة ثانية بامتدادات الجسد خارج نفسه، وتشكل أبعاده العملية والثقافية ضمن بنية الفضاء باعتباره نصا ثقافيا يعمل على تحديد التشكيل الثقافي للجسد، ويتعلق الأمر في المرحلة الثالثة بالجسد بين حالة السكون وحالة الحركة، وبين الرغبة وسلطة الأشكال والبناء القصصي ، وبعبارة أخرى الإجابة عن السؤال الثاني : هل يمكن تصور جسد خارج إطار الأشكال التي تخبر عنه ؟

[1]- م.س ، ص 196.

[2] -Greimas, op cit , P59

3-العضو بين الحجم الثقافي والبعد العملي :

عندما يستعصي العثور على معنى الكل، بإمكان المحلل أن يعود إلى أجزاء الذات فلا يدل الكل إلا من خلال أجزائه ، أو قد تختلف دلالة الكل عن دلالة الأجزاء المكونة له ، تلك حالة الجسد وتلك حالة لها دلالاتها وأشكالها ومعانيها ، إنه متحرك ومتغير ومتبدل ، إنه يخلق من نفسه أشكالا ويخلق من الأشكال أشكالا وهو في كل هذا لا يصل إلى غاياته إلا من خلال عناصره وأشكاله تحقيقها .

فهل بإمكاننا أن نقر؟ الجسد دون أن نقرأ أطرافه ؟

، إن الجسد مجموعة من الأعضاء الكنائية ا لتي تتحرك نيابة عن رغبات معينة ،[1]

فالجسد كلا وأجزاء في الوقت نفسه، منه يولد معطى انفعاليا وغريزيا وثقافيا عاما، ولكن هذا المعطى لا يدرك إلا من خلال الأجزاء، ولا يستقيم وجود هذه الأجزاء إلا من خلال إدراجها ضمن هذا الكل الذي هو الجسد ، وبالعودة إلى الأجزاء ندرك تفاوتها في القيمة والموقع والحجم ، إنها محكومة بالاستعمالات : الاستعمالات العملية النفعية، والاستعمالات الغريزية و الاستعمالات الثقافية / الأسطورية فالجسد ، باعتباره بؤرة لتجلي العملي والغريزي والوظيفي والأسطوري / الثقافي يعيش ، بشكل دائم ، تحت التهديدات المستمرة للاستعمالات لا نقرأ الحركة ولا نقرأ الايماءة ، ولا نقرأ ترابط هذه الحركات وهذه الايماءات ، ولكننا نقرأ فقط النصوص التي تولدها هذه الحركات .

إن كل حركة هي في واقع الأمر انجاز لمشروع ثقافي ، إنها تشكل مشروعا لأن هذه النصوص هي نصوص مليئة بالبياضات ، والأجزاء غير مكتملة ، ولكنها تمثل من حيث البعد الايحائي ، الامتلاء الدلالي في أبهى صورةّ إن الجسد في هذه الحالات شبيه بالوحدات المعجمية لا يملك معنى ، إنه يعيش على وقع الاستعمالات الأمر الذي يجعل من ايماءة واحدة متبعا لسلسلة كبيرة من التأويلات .

إن آية حركة معزولة قد تولد نصا متكاملا يقود من الأجزاء البسيطة إلى ما ينظر إليه كتركيب لسلسلة من الايماءات الدالة لنتذكر الاستعمالات المتنوعة لليد، فهي هنا لي تدل على وعلى هذا الأساس ، فإن الانتقال من هذا النص إلى ذلك ، ضمن النسق الواحد أو ضمن الأنساق المتنوعة والمختلفة ، رد في كل لحظة .

ويكفي لإدراك ذلك، ان نغير من سياق حركة ما ، أو أن يكون المتلقي جاهلا بالنص الثقافي الذي تنجز داخله هذه الحركة ، لكي نجد أنفسنا أمام نصوص اللا معقول أو أمام ما يخدش الحياء ،

[1]- سعيد بن كراد ، سيميائيات مفاهيمها وتطبيقاتها ، ص 198-199.

ويزداد الأمر تعقيدا ، كلما أصبحنا في عملية التجزئة وحاولنا أن نحدد لكل عضو سياقه واستعماله ودائرة اشتغاله ، وكذا الوحدات الايمائية القابلة للإنجاز انطلاقا منه ، حينما سندرك أن هناك وحدات تشتغل على الصعيد الثقافي ، كمستوى الصفر : أي إن وجودها وجود تقريري لا يقوم بتنفيذ مشاريع الحس العملي، وهناك وحدات تشتغل على الصعيد الثقافي ، كمستوى الصفر : أي إن وجودها وجود تقريري لا يقوم بتنفيذ مشاريع الحس العملي ، وهناك من الأعضاء ما يعتبر بؤرة لتجلي الثقافي والعلمي (العين واليد مثلا).[1]

وفي هذا الاتجاه يمكن القول إن الرجل محايدة ، وإن النصوص المتولدة عنها نصوص ضعيفة و محدودة ، وعلى العكس من ذلك اليد ، فاليد هو زئبقي ومتحرك ، ينتقل من هذا النص إلى ذاك بسهولة إنها حاضرة في نصوص القمع والمنع والمصادرة ، إن الثقافة حاضرة في اليد بشكل لا يوازيه إلا حضورها في العين ، وما بين العين واليد تواطؤ ثقافي لا يظهر إلا من خلال تحديد النصوص المتولدة عنهما .

فاليد فيها تحمل دلالات العملي والثقافي بشكل مفزع ، إن اليد تحجب الضوء عن العين وتمد العدوان وتحدد سندا للجسد والعين هي التي توجهها .

وهناك من الأعضاء ما يتأرجح بين الطبيعي والثقافي ، فهو أحيانا عضو مسدود إلى الوظائف ، ومهمته هي الاستجابة للغايات العملية ، وهو أحيانا مرتبط بغايات ومرتبط بعوالم ايمائية يتحدد عبرها العضو كعنصر رئيس في بناء المعمار الجسدي ، وذلك من حيث أنه يتضمن حضور الرائي الذي يرى ويبصر ويتأمل .

امتدادات الجسد خارج نفسه

ومن الجسد في ذاته ، عبر تضاريسة وسهولة ، ننتقل إلى الجسد في علاقته بكونه : كونه القريب أولا ، أي الأشياء التي تمنحه واجهته، وكونه البعيد ثانيا، أي موضوعات العالم التي يتحرك فمن هنا ، وفي هذه الحالة يتم الانتقال من التركيز على الجسد كمولد مباشر لتنوع ايماءاته: تداخل الثقافي والعملي فمن انتمائه الجغرافي أو الفئوي أو الطبقي، إن الانتقال من المدن إلى البوادي ، ومن السهول إلى الجبال ، ومن الأحياء "الراقية" إلى "مدن المنيح" يؤدي إلى استشراق تصور دائرة الفعل الإبلاغي ، أي بصفته فضاء انسانية ، فإنه يقوم بتأسيس دلالات الأشياء التي تتحرك داخله ، ومن ضمنها حركات الإنسان

[1]- م.س ، ص 199-200.

وأفعاله سواء كانت هذه الحركات مصاحبة للفعل اللغوي أو كانت نصا ايمائيا يمتلك وجود الخاص ، استنادا إلى هذا التمييز ، فإن الايماءة تتشكل وفق القوانين التي تجعل من الكون هندسة فضائية تخفي في ثناياها الأشكال الثقافية المالكة لمفاتيح الأفعال وفهمها وتأويلها .

تشكل امتدادات الجسد خارج نفسه (في ما ليس هو) : امتداداته في أشيائه في الملابس والسيجارة وقضبان الحافلات وجسد الآخر وامتداداته في الفأس والمذارة والمنجل وأدوات الصياغة وامتداداته في الموت : الهمس والصراخ والعويل ، وكذا الابتسامة والمحك والوجه المقطب .[1]

الايماءة جزء من نسق ثقافي ، وهو النسق الذي يحتمي اللسان دالة إن الايماءة الدالة عن الدعوة للمجيء تعال : ليست مجرد بعنصر اضافي ومكمل لعنصر الفظي ، غننا لا نستطيع إدراجها في معادل لفظي يعد فيها ويبلغ بنفس القوة ، نفس المدن إن الأمر على خلاف ذلك ، فلا وجود لإبلاغ اساني وتلك قناعة يتقاسمها كل اللسانيين ، فإذا كان بإمكاننا أن ترسم حدودا ، داخل الجسد ، وبين الوحدات الدالة التي تتمتع بقصدية صريحة ، وبين الوحدات غير الدالة أو التي نطلق عليها الايماءات العضوية فمعنى هذا أن الوحدات الإيمائية تنتج وتدرك وتؤول داخل سن معين ، ومعنى هذا أيضا + أنها تشكل لغة ، ويجب التعامل معها باعتبارها نسقا يملك قواعد وقوانين ونمط اشتغاله، ومن ثم ستكون للجسد أيضا لغته الايمائية التي تملك خصوصيتها : خصوصيتها في نمط الوجود وفي قواعد الاشتغال .[2]

إن كانت كل ايماءة تملك شانها في ذلك شان الوحدات اللسانية مستوى للتقرير وآخر ايجاد ، فإن الوحدات المنتمية للمستوى الثاني قابلة للتنويع انطلاقا من طبيعة الامتدادات الصادرة عن الجسد وعمقها الثقافي ، فإذا كان رفع اليد إلى الأعلى تم مدها إلى الأمام في جذبها إلى الجسد تدرك تقريبا كدعوة تعال ، فإن هذه الحركة خاصة لتنويعات متعددة ، فإذا كانت القاعدة اللسانية تدلنا على أن كل تغيير يلحق القيمات (الوحدات المميزة على المستوى الصوتي).[3]

يؤدي بالضرورة إلى تعبير على مستوى العالم (الوحدات المميزة على المستوى الدلالي).

فإن الأمر لا يختلف مع الوحدات الايمائية في نمط انتاجها لمدلولها ، فكلما تغيرت الوحدات المنتمية إلى المستوى التعبيري (الدال) تغيرت المضامين التي يعد هذا التعبير سندها وأساس وجودها .

[1]- سعيد بن كراد ، سيميائيات مفاهيمها وتطبيقاتها ، ص 204.
[2]- م.س ، ص 205.
[3]- ينظر كتاب "مبادئ وعلم الأدلة" لرولات بارث ، ص 63 .

وهكذا ، وكما هو الشأن مع الموت في الارساليات اللغوية حيث إن رقة الموت أو خشونة ، الصراخ أو الهمس يدل على حالة نفسية معينة، فإن الوحدات الايمائية تولد انطلاقا من طرق تنفيذها أولا ، ثم انطلاقا من نمط تشكلها ثانيا .

إن هذه تنويعات دلالية تعد تنويعات ثقافية نطلق عليها مفهوم الدلالات الايحائية ، فإن البعد الكوني داخل الجسد يتحدد من خلال وضعيات محدودة، لعل أهمها الوضعية التي اعتبرناها أصلية : الأرض أفقية ، الإنسان عمودي، فإن أغلب المواقف والايماءات تعود إما إلى أحاسيس أولية (الخوف ، العنف، التحدي ، الخ) وإما إلى سلوكات فردية مشتركة بين الجميع الاعتداء، التفاوض، الغش، النجدة)، وإما لأفعال عادية (المشي، السباحة ، القراءة، وإما إلى عمليات معقدة ولكنها قابلة لأن ترد بسهولة إلى نماذج محدودة ذاك الذي يقود طائرة للركاب وذاك الذي يقود سيارة في مباراة للسباق).[1]

يمكن توليد سلسلة من الايماءات الخاضعة في تنفيذها للبرامج الثقافية المسبقة التي تجعلها نصف هذا إما بالبدوي "المتخلف" أو بالمديني المتحضر وآخر بإنتمائه إلى منطقة البحر الأبيض المتوسط ، وهكذا انطلاقا من المثال السابق (الوحدة الايمائية الدالة على الدعوى للمجيء تعال) ، يمكن تصنيف هذه التنويعات إلى :

أ- سرعة انجاز هذه الايمائية تحليلنا على السميائيات الأثار المعنوية .

- الحالة النفسية للميات (عضب ، قلق...).

- طبيعة العلاقة بين الباث والمتلقي (رئيس ، مرؤوس، أب ، ابن).

- الأمر أو التواصل.

ب-بطء انجاز هذه الايماءة (أو انجازها وفق المعايير العادية) يحيلنا على السميائيات التالية :

- وجود معرفة سابقة بين المشير والمشار إليه.

ج-مرفقة أو غير مرفقة بإرسالية لغوية ، ففي حالة وجود إرسالية لغوية ، فإننا نكون أمام مضمون يختلف عن مضمون الحالة التي تغيب فيها هذه الارسالية .

[1] -Brémond op. cit P 66.

إن هذه التنويعات مجتمعة تنجز داخل نفس الدائرة الدلالية ، إلا أن الأمر يزداد تعقيدا إذا نحن حاولنا الخروج من هذه الدائرة لنخلق تنويعات جديدة تخرج بنا عن المعيار الذي تنتج وفقه هذه الايماءات ، أي ما يقوم بتحديد شكل وجود هذه الايماءة .[1]

أي إن علاقة الفرد بالفضاء تمنح لحركاته معنى خاصا يفضح أصوله وجدوره، ولا تدرك حركات الفلاحين وايماءاتهم مثلا ، إلا من هذه الزاوية ، فإذا كان هؤلاء يتميزون بايماءاتهم الواسعة والعريضة . فإن ذلك يعود إلى وجود نوع من الامتداد بين اليد والأداة التي تحتضن الأرض وبين الموت والفضاء الذي لا تحدد العين ، فالمدراة والمنجل والفأس والعصا كلها ادوات توسع من دائرة اليد : فالتواصل مع الأرض (االفضاء) يفترض وجود امتدادات لليد في أدوات التواصل ، ويمكن الآن القول : إذا كانت نوعية الامتدادات تحدد طبيعة الذات المنتجة الايماءة ، فإن نوعية الأشياء النقطة النهائية لامتداد تحدد ايضا طبيعة وحجم ونوعية الايماءة : تختلف ايماءات النساء عن ايماءات الرجال أولا ، وتختلف ايماءات أهل الحفر عن ايماءات اليد وثانيا، وتختلف ايماءات اهل الشمال عن ايماءات أهل الجنوب ثالثا .[2]

إلا يعود هذا إلى أسلبة الأشياء كما يعتقد ذلك بودريار ؟ إن الأمر كذلك حقا، فأسلبة الأشياء مرتبطة بأسلبة الايماءة الإنسانية التابعة لها، وهذا يعني دائما تغييب الطاقة العفلية وطاقة العمل ، إنه تغيب للوظائف العملية لصالح الوظائف الثانوية الخاصة بالعلاقات وبالحساب : إنه تغيب للفعل الغريزي لصالح الفعل الثقافي ، والوسائط العملية والتاريخية لكل هذه السيرورات على مستوى الأشياء ، هي التغييب الأساسي لإماءة المجهود العضلي ، أي المرور من إيماءة كونية للعقل إلى ايماءة كونية للمراقبة .[3]

5-الجسد : السكون والرقبة وسلطة الأشكال

إن الجسد لسان ، أي نسق يحتوي على سلسلة لا متناهية من الوضعيات المحتملة (حركات معزولة، حركات يضمها التأليف البسيط والمركب أو صناع مبهمة وأخرى صريحة، همس وصراخ ، حكايات ، أفراح ومآسي..) إنه الكلام في حالة الكمون : إن وجود الجسد مرتبط بما سيصدر عنه، إن حالة السكون في بؤرة التوقعية : منها سينبثق الفعل ومنها ستنبثق الأشكال .

إن الجسد خزان للدلالات ، فهو يدل من خلال سكونه ، إن سكون الجسد ليس سكونا ماديا، إن السكون وضع أصلي في الجسد ، فالسكون هو أصل الدلالات المتولدن عن الايماءات ، فإذا

[1] - سعيد بن كراد ، سيميائيات مفاهيمها وتطبيقاتها ، ص 208.
[2]- م.ن ، ص 209.
[3] - Baudrillard . op cit , P 66.

كان الصمت هو الخير المليء بالامكانات الفاصلة بين كلمتين، غنه الانتظار الذي يشكل الحالة الأكثر هشاشة والأكثر غنى.[1]

السكون ليس شيئا آخر سوى اللحظة المبهمة الفاصلة بين ايماءتين، إنه يشتغل بنفس طريقة الصمت ، إنه ما يجعل من الايماءات والأوضاع والأشكال أمرا معقولا ومفهوما وذا معنى ، السكون في الجسد لحظة انتظار : انتظار المعنى واللا معنى، والانتظار الشكل واللا شكل وانتظار اللا معنى الذي يملك معنى انتظار الموت والحياة (حالة السكون المرتبطة بالنوع) ، انتظار الفعل واللا فعل ، إن محاولة تجاهل السكون في الجسد واعتباره حالة غير دالة معناه الحلم يخلق حالة قصوى لامتلاك الدلالي.[2]

أي لا يوجد السكون في الجسد إلا متمفصلا في الايماءات ، إنه كالصمت في النفس اللساني ، لا يدرك كاحتمال دال إلا من خلال انبثاقه من القول في القول.

إننا لا نتحدث عن سكون النوم أو سكون الصوت، فالأول تأجيل للمعنى والثاني غياب مطلق.

إن الجسد يعلن عن رغبته من خلال الإعلان عن أشكاله ، وتاريخ الجسد هو تاريخ الأشكال وتاريخ البحث عن الأشكال ، وتاريخ المآساوي للرغبة في الغاء واقصاء وتغييب الأشكال ، ألا يعد الحجاب بصفته شكلا من أشكال التواصل الثقافي ، محاولة للإفلات من سلطة الأشكال ودلالاتها ؟ إنه كذلك فوجوده وجود تميزي واختلاف رمزي في نفس الآن، غنه يرمي إلغاء الرغبات (كبحها ، وتقنيتها) أي إلغاء أشكال وجودها وكلما يخبر عنها أو يشير إليها الأمر يتعلق في الواقع بإلغاء الرغبات التي تحقق نفسها خارج أسوار المؤسسات كالزواج مثلا ،ويعد هذا أو ذلك ، فإن اللهات وراء إلغاء الأشكال والعودة بالجسد إلى حالة الأشكال هو محاولة للوصول إلى خلق حالة اللا معنى، فاللا شكل يرادف اللا معنى ، فإذا كان وجود كل نسق يتحقق وفق وجود الأشكال الدالة الداعية ، فلا وجود لانساق تتحقق خارج أسوار الأشكال ، فولادة معنى ما هو تكسير لطويلة الكثل الفاقدة للأشكال ومع ذلك ورغم هذا فإن الرغبة في تقديم الجسد بعيدا عن كل الأشكال لن يؤدي إلا إلى توليد الرغبة ، عند الرأي فيتعيين كل الأشكال ، ذلك أن فراغ المضمون المتميز بغياب التمفصلات ، لا يمكن أن يملأ إلا عبو تفجير الإمتلاء التوتر .[3]

[1] -Pulcinelli orlandi eni : silence, sujet Histoire, in zésprit de société, mardoza , Bruxelles, 1993, P 228.

[2]- م.ن ، ص 228.

[3] - Pulcinelli orlandi eni : silence, sujet Histoire, P 228.

وتأتي الرغبة في إظهار الجسد غير أقصى حد يمكن أن تعرفه الأشكال ، وأقصى حد للأشكال حالة على مشبوهة وما بين الحد الأول والحد الثاني تتراوح حالات المعنى بين الفقر وبين الاشباع ، فالحالة الأولى تضعها أمام مخاض وآلام ولادة معنى لا تستقم له الأشكال كيف يولد المعنى من اللا معنى؟ وكيف يولد الشكل من اللا شكل ؟ وتضعنا الحالة الثانية أمام فائض في المعنى وفي التدليل : يمتلك الجسد / الشكل مفاتيح كل قراءته ، وليس غريبا أن تطلق العامة على الجسد في حالة الأولى تعبير الكف ، وتطلق عليه في حالته الثانية تعبير التصريح بالممتلكات ، إن التعبيرين معا يجيلان على المعنى في أحجام محددة.[1]

يتعلق الأمر في الحالتين معا بحالات للجسد وحالات الأشكال وجوده (حالات طبيعية ، وحالات ثقافية وحالات تتراوح بين المظهرين : حالة العر في افريقيا وحالة العري في أوروبا)، فإذا كانت الحالة الثقافية للجسد المكسور بلباس كيفما كان شكل ونوع هذا اللباس هي حالة حكي وأقاصيص لأشياء توجد خارج من يسندها (أي الجسد) ، فإن حالة الجسد العاري لحظة ميلاده ولحظة موته، أيضا وأساسا لحظة عودته إلى غرائزه وقد تخلص من كل قيود حالة الحضارية) تشكل حالة وجود خارج مقتضيات الحكي وخارج مقتضيات القص.[2]

والجسد المكسور بلباس ما ، فيحكي من كل جزيئات الحياة، عن برامجها وألسنتها ونماذجها : يحكي قصة خياط قصة حلاق وقصة عطار : عبر تفاصيل الموضة يوضع الرأي أمام معطيات تخبر عن زمن (لباس ما يخبر عن فترة تاريخية) وعن فضاء (لباس ما يخبر عن أصل صاحبه او صاحبته) ، غننا نودع الجسد قيما ومفاهيم وبرامج للفعل ، إن النص الجسدي ، في مظاهرة وأشكاله تكتبه الموضة والنكافة.

واانطلاقا مما سبق فإن الجسد يعد واقعة اجتماعية ، ومن ثم فهو واقعة دالة فهو يدل باعتباره موضوعا ، ويدل باعتباره حجما انسانيا ، ويدل باعتباره شكلا ، إنه علامة ، وككل العلامات لا يدرك إلا من خلال استعمالاته ، وكل استعمال يحيل على نسق وكل نسق يحيل على دلالة مسجلة في سجل الذات وسجل الجسد وسجل الأشياء، إن أي محاولة لفهم هذه الدلالات والامساك بها يمر عبر تحديد مسبق لمجموع الاطر المعرفية المرتبطة بالبناء الثقافي للمجتمع .

[1]- سعيد بن كراد ، سيميائيات مفاهيمها وتطبيقاتها ، ص 214.
[2]- م.ن ، ص 215.

المبحث الثاني : كيف نمنح الواقعة التواصلية بعدا سميائيا ؟

لقد أشرنا إلى الكثير من المفاهيم المتداولة في الأدبيات السيميائية ، فإن تلك التي سنقدمها لها وضع خاص ، فهي من جهة ليست وحيدة الاستعمال ولا ترتبط بهذا النشاط المعرفي دون غيره المفاهيم تستعمل أيضا في الكثير من العلوم الإنسانية (اللسانيات، الأنتروبولوجيا، التحليل النفسي، علم الدلالة...)، وهي من جهة ثانية لا تحيل على نفس المضمون ، فالكثير من هذه المفاهيم لها دلالات متعددة وفق استعمالاتها داخل هذا الحقل أو ذاك، ومن جهة ثالثة، فإن هذه المفاهيم تشرك في خاصة واحدة : احالتها على الميكانيزمات الخاصة بإنتاج الدلالة وتداولها واستهلاكها ، والحال أن السيميائيات في معناها الأكثر بداهة ليست شيئا آخر سوى تساؤلات حول المعنى .[1]

إن غياب قصدية صريحة أو ضمنية ، لا يمكن لهذا السلوك أن يكون دالا ، هذه قصدية هي أساس كل القضايا المعرفية التي عبرت عن نفسها من خلال المفاهيم التي نقدمها هنا ، وهي مفاهيم وثيقة الارتباط بالمعنى من حيث الوجود والمادة والتداول والسيرورة ، فالوجود الإنساني باعتباره وجود للمعنى وفي المعنى ، أنتج مجموعة من المفاهيم المغيرة عن التجليات الممكنة لهذا المعنى ، وعلى هذا الاساس فإن تساؤل عن المعنى هو في واقع الأمر تساؤل عن معنى النشاط الإنساني وعن معنى التاريخ.[2] وسنحاول فيما سيأتي تحديد بعض مضامين هذه المفاهيم استنادا إلى التصورات التي اقترحتها السيميائيات في هذا المجال .

المحايثة : يعد مفهوم المحايثة من المفاهيم التي أشاعتها البنييون في بداية الستنيات من القرن العشرين ، ليصبح بعد ذلك مفهوما مركزيا استنادا إليه بفهم النفس وتنجز قراءاته ، وأصبح التحليل المحايث هو كلمة السر التي أولها البنيويون كبضاعة مهرية تشفي من كل الأدوات والتحليل المحايث هو وحدة الذي يجيب عن كل الأسئلة ويدرك كل المعاني، وهو أن النص لا ينظر إليه إلا في ذاته مفصولا عن أي شيء يوجد خارجة، وللمعاينة لها أصول أخرى غير ما أثبته البنيوبة في تفاصيل تحايتها ، فهي كما يشير إلى ذلك سابق على الفعل الإنساني وتمفصلاته ، فهي /كما يشير إلى ذلك لالاند في قاموسه .[3]

أي أنّ المحايثة مرتبطة بنشاطين : نشاط يحيل على كل ما هو موجود بشكل ثابث وآخر يحيل على ما يصدر عن كائن ما معبرا عن طبيعته الأصلية وفي الحالتين معا نحن أمام مفاهيم سابقة في الوجود

[1]- سعيد بن كراد سيميائيات مفاهيمها وتطبيقاتها ، دار الحوار للنشر والتوزيع ، سوريا ، اللادقية ، ص ب 1018 ، ط 2013 ، ص 254.

[2] -AJ Greimas : Sémantique stucturale , ed la rousse ,Paris 1966, P 5.

[3] -André lalond : vocabulaire technique et critique de la philosophie, article Immanence .

عن الإنسان ومعطاة مع الطبيعة ذاتها . والمحايثة هي رصد لعناصر لا تفرزها السيرورة الطبيعية لسلوك إنساني مدرج داخل الزمنية التاريخية باعتبارها مدى يخبر عن المفاهيم وبنوعها ، ولقد حاول غستين شرح السيرورة المنتجة للتلفظ الإنساني باعتباره مدخلا أساسا نحو الفهم وانتاج الدلالات من خلال القول بوجود المعرفة محايثة يمتلكها الله ويسيرها إذ الإنسان عبر مفصلتها في ألفاظ ثلاثة : لفظ القلب وهو لفظ مذكر فيه خارج أي لسان واللفظ الداخلي وهو لفظ مذكر فيه من خلال لسان ما تم اللفظ الخارجي وهو اللفظ الذي ينتسب إليه الفرد اختيارا أو قدرا.[1]

وتعد هذه التعريفات مدخلا لتحديد مضمون هذا المفهوم في مواقعه الجديدة كالتحليل السردي مثلا ، ولقد كانت السيميائيات السردية ، خاصة تحت تأثير بالسيف ، الذي كان يقول بضرورة دراسة اللسان محايثة بعيدا عن كل العناصر الخارجية سباق إلى الاستفادة من المردودية المعرفية والتحليلية لهذا المبدأ في تحديد مستويات الدلالة وانماط تشكلها .

إن المادة المحايثة في هذا المجال لا علاقة لها بمضامين إلهية أو غيرها إن الأمر يتعلق بالنماذج السلوكية التي تفرزها الممارسة وتضعها على أساس لكل تواصل .

السميوز السيرورة المنتجة للدلالة :

لقد ذكرنا في مقالتنا السابقة على أن الدلالة هي سيرورة وليست معطى جاهزا وسابقا على الفعل، فالسلوك السيميائي دالة ليس سوى خروج من إكراهات البيولوجي و الطبيعي والولوج إلى عالم ثقافي مفتوح على كل الاحتمالات ، وبهذا المعنى فإن كل واقعة تستند من أجلها دلالاتها إلى سيرورة داخلية تجمع بين العناصر المكونة لها فمن ترابط جلي لا تنقسم عبارة إن هذه السيرورة هي ما يطلق عليها في السميائيات سيموز بورس أو الوظيفة السميائية فإن السيموز أو التدليل في تصور بورس هي السيرورة التي يشتغل من خلالها شيء ما كعلامة وتستند على ثلاثة عناصر ينظر إليها باعتبارها الحدود التي من خلالها تستقيم السيرورة وتتحول إلى نسق يتحكم في انتاج الدلالات وتداولها .[2]

ولقد كان بورس أول من أدخل مفهوم السيميوز إلى الدراسات السيميائية الحديثة ، وجعل منه الحجر الاساس الذي تبنى به التصنيفات السيميائية للعلامة كما هو مثبت في كتاباته المتعددة ، فالسميوز سيرورة مفصلة عن مادة الدلالة، فهي المبدأ الدي يتحكم في التاج الدلالات لا جوهرا

[1] -tyvetan todorov : théorie du symbole , éd seuil 1977, PP 34 -35.

[2]- م.س ، ص 258.

مضمونيا ، فكل الوقائع محكومة بقانون السيموز ، إن كل ما يتداول فمن الممارسة الإنسانية ويستعمل باعتباره علامة يشتغل باعتباره سيرورة سيموزية .

إن مفهوم العلامة في تصور بورس مثلا ، لا يمكن أن ينفصل عن سيرورة خالية من الفكر والقانون ، وستنفي بانتقاء الشروط التي أنتجتها .[1]

لقد كان بورس من السيميائيين الأوائل الذين أدخلوا هذا المصطلح إلى السيميائيات الحديثة، فالعلامة التي تتكون من مأتول وموضوع ومسؤول ليست سوى الوجهة المرئية لسيرورة تخفي بداخلها فعل الإدراك ذاته، فالذات الإنسانية تحتاج إلى سيرورة لكي تحول الوقائع الموجودة في العالم الخارجي إلى مفاهيم مجعل محل هذه الوقائع تمنحها بعدها السيميائي ، ولهذا فإن السيرورة التدليلية تشتغل باعتبارها استعادة للمقولات الإدراكية التي يطلق عليها بورس المقولات ألفنومينولوجية ، وهذه المقولات هي التي تستند إليها الذات من اجل إدراك نفسها وإدراك العالم المحيط بها، فكل ما يجربه الإنسان ، وكل ما يؤت كونه يدرك باعتباره تداخلا للمستويات ثلاثة : اولا يحيل على ثاني عبر ثالث فمن سيرورة لا متناهية ، فالأول وحدة لا يشكل سوى أحاسيس ونوعيات مفصولة عن السياقات المخصوصة ، اما الثاني فيحيل عن الوجود الفعلي ، إنه يحيل على الواقعة المادية كما هي باعتبارها تستوعب الأحاسيس ، اما الثالث فهو الذي يبرر العلاقة بين الأول والثاني ، وهو الذي يحول التجربة إلى واقعة فكرية ، وبدونه لا يمكن لهذه الوقائع ان تدرك استقبالا.[2]

هذه المعطيات هي التي تشكل على السميوز ومضمونها الحقيقي فما ندركه نحن كذلك مرئية يشكل في الواقع الأمل الأساس الذي تبنى عليه إنتاج المعرفة ، والمعرفة الخاصة بالعالم الخارجي وطرف استعابه عن الذات المدركة ، وعلى هذا الأساس فإن التركيب الدلالي للسميوز هو نفس التركيب الثلاثي الذي يتحكم في عملية إدراك العالم الخارجي .

المعنى :

استنادا على مفهوم المحايثة والسميوز يمكن تناول المعنى وتحديد مداراته وأشكال تجليه، فالمعنى من المفاهيم التي تستعصي على التحديد والضبط ورغم أن الاستعمال العادي لا يميز إلا نادرا بين المعنى والدلالة فإن الفرق بينهما أوسع وكبير، ونجد بالمسبق صاحب مدرسة قائمة الذات في التحليل الدلالي،

[1]- م.س ، ص 259.
[2]- م.س ، ص 260.

يجعل من المعنى المادة التي تشتق منها الدلالات ، وباعتباره كذلك ، فإنه قريب من مفهوم الشيء في دالة كما يتصوره كانط ، فبالإمكان أن تتعرف على الطاولة من حيث الامتداد والمقاومة واللون والذوق ، ولكننا لا نستطيع قطعا التعرف على جوهر الطاولة باعتباره الشيء في دابة [1]، ولعلى هذا ما دفع كريماس إلى النظر إلى المعنى من زاويتين أولا باعتباره ما يسمح بالقيام بعمليات الشرح والتسنينات التي تنقلنا من سنن إلى آخر، وثانية باعتباره ما يؤسس النشاط الإنساني منظورا إليه كقصدية ، فلا شيء يمكن أن يقال عن المعنى قبل أن تتم مفصلة على شكل دلالات.

ووضعنا هذا الأمر أمام تفاعل جديد يعني العلاقة بين المعنى باعتباره مادة، وبين الدلالة باعتبارها شكلا لهذا المعنى ومشتقة ولهذا فإن المدرسة السيميائيات، في تصور أكريماس على الأقل ، ليس جواهر مضمونية مكتفية بذاتها، إنها تدرس على النقيض من ذلك ، أشكالا مضمونية ، وهي ما يشير إلى التحقيقات الممكنة للمادة الأصلية ، أما داخل الاستقطاب الثنائي الشهير الذي يميز بين بعد تقريري آخر ايحائي ، فقد نظر إلى المعنى من زاوية فيقة جدا، فما يفهم بشكل مباشر من الواقعة دونما استعانة بشيء آخر يطلق عليه المعنى ، في حين تعد الدلالات غير المعطاة بشكل مباشر معاني ثانية ، أو دلالات مصدرها الثقافة والتاريخ وهي دلالات يتم الحصول عليها من خلال تنشيط ذاكرة الواقعة والدفع بها إلى تسليم كل دلالاتها ، ففي الحالة الأولى يطلق على المعنى التقرير، ويطلق عليه في الحالة الثانية الايحاء .[2]

وليس بعيدا عن ذلك ما نعثر عليه في التراث العربي حيث ميزت الشرعية العربية ممثلة في إحدى رموزها الشامخة بين المعنى ومعنى المعنى ، فالكلام عند عبد القاهر الجرجاني مثلا على فربين : فرب أنت تصل منه إلى العزفي بدلالة اللفظ وحدة وضرب آخر بذلك اللفظ على معناه الذي يقتضيه موضوعة في اللغة، ثم نجد لذلك المعنى دلالة ثانية تصل بها إلى العرض، فها هنا عبارة مختصرة وهي أن نقول المعنى ومعنى المعنى ، تعني بالمعنى المفهوم من ظاهر اللفظ والذي تصل إليه بغير واسطة وبمعنى المعنى ، أن تعقل من اللفظ معنى ، ثم يفضي بك ذلك المعنى إلى معنى آخر.[3]

[1] -AJ Greimas j courtes dictionnaire raisonné de la théorie du langage dens.

[2]- سعيد بن كراد ، سيميائيات مفاهيمها وتطبيقاتها ، ص 25.

[3]- عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الاعجاز ، منشورات مكتبة الخانجي ، القاهرة ، 1984 ، ص 264-265.

المعنى الأول كما يتجلى من خلال فعل الإحالة الأولى هو الإحالة المباشرة التي تتم داخل العلامة ويشكل مباشرة ، أما معنى المعنى فهو دلالة التي تشير إلى السياقات الممكنة التي تشتمل عليها العلامة وتلك هي المنطلقات الأساس التي انبتت عليها فكرة السميوز، أي السيرورة التي تشترطها الدلالات لكي توجد ، فالأصل واحد ، أي معنى مغطى من خلال لحظة الإحالة الأولى، والامتدادات متنوعة وهو أمر لا يخص كلمات اللسان وايماءات أو كلمات أو طقوس ، وفي هذا المستوى يقف التدليل عند حدود رصد النفعي المباشر في السلوك الإنساني ، أما في المستوى الثاني فيتم التخلص من العام المكره والضروري للايغال في المحلي الثقافي والخاص ، حينها تبرز قيمة المتبعة التي تولدها الدلالات غير الإكراهية، في الحالة الأولى يشار إلى تأويل مباشر وعفوي، ويشار في الحالة الثانية إلى تأويل حيوي ينشط ذاكرة الكلمات والوقائع والموضوعات .

الدلالة :

تحيل الدلالة على مفهوم رئيس في تصور العلاقات بين الحدود المنتجة للقيم المضمونية وتداولها، ويتعلق الأمر بالسيرورة فلا يمكن تصور كم معنوي خارج مدار سيرورة تتمحور حول مفهوم العلاقة باعتبارها الحد الأساس في إنتاج أي نشاط دلالي وعلى هذا الأساس فإن مفهوم الدلالة مفهوم مركزي ينتظم حوله النشاط السميائي في مجمله.[1]

و يمكن القول إن رصد شروط انتاج الدلالة هو رصد للضوابط الثقافية التي تشتغل كقوانين يتم استنادا إليها تأويل كل الوقائع ، وعلى هذا الأساس، إذا كان المعنى يشير كما رأينا ذلك أعلاه إلى كم مادي عديم الشكل وسابق عن التمفصل ، فإن الدلالة هي الناتج الصافي لهذه المادة وهي وجهة المتحقق، ولهذا فهي جهة ليس مفصولة عن شروط انتاجها ، فكل نسق له ارغامته الخاصة.

وله أنماطه في انتاج دلالاته ، وليس مفصولة من جهة ثانية عن التدليل ذاته، فالدلالة ليست معطى جاهزا ، بل هي حصيلة روابط تجمع بين أداة للتمثيل وبين شيء يوضح للتمثيل فمن رابط ضروري يجمع بين التمثيل أي يضمن الإحالة استقبالا على نفس الموضوع في حالاته المتنوعة .[2]

[1] - A j greimas. J courtes , op cit , signification.

[2]- سعيد بن كراد ، المرجع السابق ، ص 264

ولأن الدلالة هي سيرورة لإنتاج المعنى من خلال تحويله من طابعه المادي إلى أشكال مضمونية تدرك ضمن السياقات المتنوعة ، فإنها ليست مفصولة عن حقل دلالي غني بمفهوم تشير إليها إلى طبيعة هذه السيرورة وأنماط وجودها ، وهكذا استنادا إلى مفهوم الدلالة ثم تحت مجموعة من المفاهيم التي تحمل على نفس النشاط منظورا إليه في حالات تحققه المتنوعة من قبل الوظيفة السيميائية (بالمسيف) والسميوز بورس والاندلال بارث ، وكلها مفاهيم تدل فمن سياقاتها النظرية الخاصة على السيرورة والشروط التي تنتج فمنها الأثار المعنوية .

إن السيميائيات لا تبحث عن دلالات جاهزة أو معطاة بشكل سابق على الممارسة الإنسانية، فهي بحث في شروط الإنتاج والتداول والاستهلاك فما يستهوي النشاط السميائي ، بل المعنى من حيث هو تحقيقات متنوعة ميزتها التمتع والإستغناء عن الضبط، ولقد ارتبط مفهوم الدلالة عند بورس بمفهوم السميوز فهو يشير من جهة إلى القدرة على إنتاج دلالة ما استنادا على روابط صريحة هي ما يشكل جوهر العلامة وشرط وجودها ، ويشير من جهة ثانية إلى السيرورة التأويل التي تعد اولية داخل أي سيرورة لإنتاج الدلالة ، فما أن الموضوع المطروح للتمثيل يتجاوز بالضرورة أداة التمثيل فإن تصور إحالات متتالية تستعيد ما لم اهماله في الإحالة الأولى أمر ممكن ، بل هو أمر ضروري ومن هنا ارتبطت فكرة التأويل عند بورس بفكرة انتاج الدلالة ذاتها وهذا ما سنتناوله في الفقرة الموالية .[1]

التأويل :

إن مفهوم التأويل شديد الارتباط بالتصور الذي تملكه عن الدلالة وعن شروط وجودها وأشكال تحققها، فالمعطيات الأولية ، في مجال اللسان على الأقل تشير إلى الكلمة لا يمكن أت تقف عند حدود التعيين المحايد لمرجع موضوعي مستقل ، فللإضافة إلى حالة التعيين هاته تشمل هذه الكلمة على مجموعة من السياقات المحتملة القابلة للتحسين مع أبسط تنشيط لذاكرتها ، فالمعالم تنقسم إلى قسمين : ما يحيل على جوهل الظاهرة وأصلها ، وما يحيل على سياقات ضمنية هي من صلب الثقافي والذاتي أي ليست أصلية ، ولعل أبسط التعابير الدالة على التأويل وضروراته الاجماع على القول بالتعددية الدلالية ، سواء تعلق الأمر بالكلمة أو بالوقائع غير اللسانية . إن التأويل مرتبط بالتصور اللساني للسميائيات فهي تعبر عن الدالة في مجال اللسان .

[1]- م.س ، ص 266.

ونقصد بالنظرية السيمائية خطابا نظريا حول الظواهر التأويلية حيث تباشر النص بوصفه خزانا من الإمكانات الدلالية وتهتم بكل مجالات الفعل الإنساني ، فهي بذلك نقدية المقاربة كل مظاهر وتجليات السلوك الإنساني بدء بأبسط الإنفعالات وانتهاء بأكبر الأنساق الإديولوجية وهي مجموعة من المفاهيم المنظمة التي تمكن من وصف آليات انتاج الدلالة داخل موضوع ثقافي ما ولفهم ما تدل عليه هذه السيرورة في أبعادها النظرية والعلمية ، لابد من تحديد المستويات الدلالية التي تحتضنها ، حيث لا وجود لمعنى ما إلا من خلال سيرورة تنقله من حدوده المفهومة ، إن هذه البنيات لصيقة بالفعل التأويلي، وهو فعل محكوم باستراتيجية تسعى إلى تحديد الطرق التي يتم بها تشكيل المعنى وتنظيمه داخل وقائع مادية قصد تداوله وتعريفه في أفعال وممارسات وسلوكات مخصوصة ، إن هذه الخاصية تجعل من التأويل نشاطا معرفيا متكاملا بل إنتاجي داخل هذا النشاط نموذجا تأويليا وتحليليا ، فهي تهتم بكل الظواهر الثقافية الدالة وكل ما ينتمي إلى التجربة الإنسانية .[1]

ولقد طور التمور الغربي تصورات غنية للتأويل ، فلقد انبنى التأويل داخل هذا التقليد على وجود استقطاب ثنائي يجمع بين معنى خفي وآخر مباشر فشرح الكتاب المقدس كانوا يتصورون أن الحدود اللغوية التي صيغ فيها هذا الكتاب تحتوي على معنى ظاهر هو المعنى الحرفي ، ومعنى خفي ، هو سر الكلمات وجوهرها ، ودور العالم يمكن في الكشف عن المعنى الثاني لأنه هو الذي يحتوي على القصدية الحقيقية للذات الإلاهية ومن هنا كانت نظرية المعاني الأربعة المعنى الحرفي والمعنى الروحي والمعنى المجازي والمعنى الأخلاقي ، فكلمات الله تحتاج إلى تدبر وتأويل لكي تسلم بعض أسرارها ، وهذا المعنى قريب جدا من السياق الذي يشير إليه صاحب لسان العرب حيث ارتبط التأويل عنده بالتفقه وتدبر نصوص القرآن فالمراد بالتأويل نقل ظاهر اللفظ عن وضعه الأصلي إلى ما يحتاج إلى تدليل لولاه ما ترك ظاهر اللفظ .[2] حيث التأويل النسبي داخل التمور الغربي وشرح مفاهيم اللغوية التي تحتوي على معنى ظاهر ومعنى خفي يمكننا من الكشف عن حقيقة الذات الالهية .

[1]- سعيد بن كراد سيميائيات مفاهيمها وتطبيقاتها ، منشورات الزمن ، مطبعة النجاح الجديدة ، الدار البيضاء ، 2003 ، ص 18.
[2]- سعيد بن كراد سيميائيات مفاهيمها وتطبيقاتها ، ص 268.

لقد أصبح التأويل نشاطا ضروريا تستند إليه كل العلوم الإنسانية من أجل فهم أفضل للتراث الإسلامي قديمة وحديثة ، فهو لم يكن مجرد تحديد لمعنى لا يرى بشكل مباشر ، إنه حالة وعي فلسفي لا ترى في المحدد بشكل مباشر سوى حالات رمزية تحتوي على أسرار الإنسان الثقافية الاجتماعية والدينية ، وهي أسرار يجب الكشف عنها من خلال امتلاك المفاتيح الضرورية للتأويل ولقد قسم أمبيرتو ايكو التأويل إلى تيارين كبيرين .[1]

ومعنى ذلك أن هذا تيار يرى في التأويل فعلا حرا لا يخضع لأية ضوابط أو حدود ، فالسيرورة التأويلية تتطور خارج قوانين انسجام الخطاب أو تماسكه الداخلي ، فمن حق العلامة أن تحدد قراءتها حتى ولو ضاعت اللحظة التي أنتجت ضغط إلى الأبد ، أو جهل ما يود الكتاب قوله فالعلامة تسلم أمرها لمتاهتها الأصلية .

إن التخلص من اللحظة اللفظية الأولى يقود القراءة إلى استحضار كل على الإحالة على قسم من الاشياء ، ما يشكل مجموع السمات المعنوية التي تسمح لنا بتسمية مرجع ما والتعرف عليه، أي تحديد مجموع الوحدات ذات الطابع التعريفي البحت .[2]

والإيجاد على عكس ذلك فهو يتشكل من وحدات عرقية وخجولة و محتشمة عادة ما ينظر إليها باعتبارها قيما ثانوية و تدرك فمن السجل التعييني للمراجع الخارجية ، فلا تستدعي استحضار النص الثقافي الذي تستعمل داخله استنادا إلى هذا التمييز ، فإن امكانات التوزيع الدلالي المستند إلى أصل صابت يشكل ما يطلق عليه في الأدبيات السيميائية مستويات الدلالة، والحديث عن المستويات معناه الإقرار صراحة بعدم وجود ظاهرة تدل على مستوى واحد فيستحيل الحديث عنه لأن ذلك مناف لطبيعة المعني ذاته ، فالتصور مولود نهائي كلي وثابت يسير في الإتجاه المعاكس للمعنى كما يقول بارث، ومن ثم فإن هذه المستويات تشير إلى وجود مسار تأويلي يقود من الأصل المشترك إلى العنصر الموغل في الخصوصية لارتباطه بسياق ثقافي هو الذي يمنحه كامل دلالاته.[3]

[1] - أنظر أمبرتو ايكو، التأويل بين السميائيات والتفكيكية ، ترجمة سعيد بن كراد ، المركز الثقافي العوبي ، 2000.

[2] -catherine kerbrat- orechioni : la connotation , éd pul, 1997, P 12.

[3]- سعيد بن كراد سيميائيات مفاهيمها وتطبيقاتها ، ص 272.

إن التقرير يشكل الحد الأدنى الدلالي الذي يسمح بتحديد شكل أولي وهذا الأمور لا يتعلق فقط باللسان والقوانين، إنه يتجاوز هذا النسق الابلاغي ليشمل كل الظواهر الأخرى ، فالبعد الدلالي داخل الجسد الإنساني مثلا يتحدد من خلال مجموعة من الايماءات التي لا تقوم إلا بضمان استمرارية في الوجود ، ونفس الشيء يمكن قوله عن الصورة واللوحة ومجمل الموضوعات التي تؤنت هذا العالم، وإذا أخذنا اللسان في الاعتبار لكونه يمثل أرقى شكل داخل الأنساق التواصلية والدلالية ، فإن نسق اللغة التقريرية سيكون هو الأصل وهو المنطلق إنه كذلك يشكل القاعدة الثابتة لكل الدلالات التي تمنح لعلامة لسانية ما ، فما دامت المعني الثانية هي تعبير أورا عشيوني، قيم إضافة تمنح للوحدات اللسانية.[1]
إن الجسد الإنساني يتحدد من خلال مجموعة من الأنساق الإيمائية حيث أن نسق اللغة هو الأصل والمنطلق به يشكل عامة لسانية.

[1] - catherine kerbrat- orechioni : la connotation , éd pul, 1997, P 12.

المبحث الثالث : سيميولوجيا الأنساق البصرية

1-الصورة والسنن الإدراكي :

إن أي انزياح من النموذج اللساني في دراسة الظواهر البصرية يقتضي البحث فيها عما يميزها عن الظواهر الأخرى ، أي البحث عما يجعل منها كيانات تمتلك طريقة أو طرقا خاصة بها في انتاج المعنى . فالوجود الرمزي المطلق للسان صوتا وكتابة يقابله الوجود المحسوس للظاهرة البصرية التي تتطلب الأخذ بعين الإعتبار مجمل التيارات البصرية التي تعد المدخل الرئيسي نحو القيام بالشكلنة الضرورية لإدراك ما يوجد خارج الذات .[1]

وعلى هذا الأساس ، فإن القضية المركزية في تحديد طبيعة الصورة تتخلص في معرفة الطريقة التي تأتي من خلالها هذه الصورة إلى العين باعتبارها نظيرا للشيء الذي تقوم بتمثيله ، فالحالة الصافية يتم تمثيله من خلال سند أيقوني يوحي بأن العلاقة القائمة بين دال الصورة ومدلولها علاقة قائمة على تشابه يجعل من الأول يحيل على الثاني دون وسائط وفي هذه الحالة ، فإن دلالة الصورة أمر يأتي من الصورة ذاتها دون استعانة بمعرفة سابقة يمكن أن يوفرها التسنن الثقافي .

إن العلامات البصرية رغم احالتها على تشابه ظاهري لا تقدم لنا تمثيلا محايدا لمعطى موضوعي منفصل عن التجربة الإنسانية ، فالوقائع البصرية في تنوعها وغناها تشكل لغة مسننة ، أودعها الإستعمال الإنساني قيما للدلالة والتواصل والتمثيل استنادا إلى ذلك ، فالدلالات التي يمكن الكشف عنها داخل هذه العلامات هي وليدة تسنين ثقافي وليست جواهر مضمونية موحى بها .

ومن هذه الزاوية ، فإنها شأن وحدات اللسان ، محكومة بوقائع توجد خارجها ، أي إنها من طبيعة اعتباطية ولا تنتج دلالاتها إلا وفق هذا المبدأ .[2]

لقد عبرت هذه الإشكالية عن نفسها من خلال مجموعة من المفاهيم الوثيقة الصلة بما تثيره طبيعة الروابط بين دال صورة ومدلولها ، ونعثر في كتابات امبيرتو ايكو على تحاليل مفصلة لهذه القضية ، فهذه الروابط تدور ، جميعها حول حقل علائقي متكون من مفاهيم مثل : التشابه ، التجاور ، العرف ، النموذج الإدراكي ، وسنن التعرف ... الخ .

[1]- سعيد بن كراد ، سميائيات مناهجها وتطبيقاتها ، ص 117.
[2]- م.ن ، ص 118.

وهي مفاهيم وثيقة الصلة بما تحيل عليه مقولتا سوسير "الاعتباطية " والتحليل في اللسانيات ودورهما في تحديد طبيعة الدليل اللساني ونمط اشتغاله ، فارتكاز على هذه المفاهيم التصنيفية ، تنظر إلى فكرة الأيقونة في مجال الإدراك البصري ، باعتبارها نقطة البداية التي ستقودنا إلى إعادة النظر في كل الوقائع البصرية.[1]

وعوض أن نجعل من فكرة الأيقونة التي تحيل في كل السياقات على فكرة التشابه، مدخلا نحو إدراك وفهم أوليات الصورة، علينا أن ننظر إلى البنية الإدراكية التي تنتظر داخلها مجمل الخطاطات المجردة، باعتبارها شيئا سابقا على الأيقونة محتكما فيها ، فالتعريف على هذه البنية يشكل المفتاح السري الذي يجب أن يقودنا إلى تحديد المفهوم الخاص للنموذج الإدراكي .

أو ما يطلق عليه ايكو في أحيان كثيرة "سنن التعرف الذي يشكل المعرفة الأولية التي تساعد الذات المدركة على رموز مجمل الصور البصرية وربطها بالتجربة الواقعية التي تشير إليها ، والأيقونية في نهاية الأمر رهينة بمعرفة القواعد الخاصة باستعمال الموضوعات ، فهذه القواعد هي التي تحول بعض هذه الموضوعات إلى علامات.[2]

فنحن في واقع الأمر ، لا ندرك أي شيء بشكل مباشر فالإدراك والتفكير يقتضيان استحضار خطاطة سابقة (النموذج الإدراكي أو البنية الإدراكية) تلتوي داخلها مجموع النسخ التي تلتقطها العين وهذا ما يبرره في اواليات الإدراك ذاتها .

فعالم الأشياء لا يلج إلى الذاكرة على شكل أشياء معزولة لا رابط بينها ، بل يتسلل إليها عبر النماذج المنظمة لهذه الأشياء في أقسام متباينة ، استنادا إلى هذا التصور الخاص بالإدراك ، يمكن القول أن التسنن الذي يحكم عالم العلامات إلايقونية هو نفس التسنين الذي يحكم التجربة الإنسانية ككل فكل محاولة لإدراك وتحديد علامة أيقونية ما تقتضي إلماما بمعرفة سابقه على عوالم متعددة ويعود ذلك إلى نسبين :

1-إن ما تحركه العين هو علامات لا موضوعات معزولة والعالم تسكنه العلامات وليس خزانا للأشياء.

2-إن العلامة الأيقونية لا تدل من تلقاء ذاتها ، فالمعنى داخلها يستدعي استحضار التجربة الثقافية كشرط أولي للإمساك بممكنات التدليل .[3]

---

[1]- م.س ، ص 118.

[2] -groupe : traité du signe visuel. Ed seuil, 1992, P 145.

[3]- سعيد بن كراد ، سميائيات مناهجها وتطبيقاتها ، ص 120.

حين أن هذه العلامات هي لغة مسننة ، أودعها الإستعمال الإنساني قيما للدلالة والتمثيل ، فهي في جوهرها خاضعة لمبدأ العرف والتواضع ، ولقد كانت هذه القناعة هي السبيل الذي سيقود إلى الاستعاضة عن الإعتباطية .

إن المعرفة التي توفرها الخطاطات المجردة تمكننا ، في الآن نفسه، من الإمساك ببنيتين: بنية إدراكية متولدة كما توفره العلامة الأيقونية كتمثيل ذهني عام ، وبنية واقعية هي منطلق التمثيل ومادته .[1]

ومفاد هذا القول أننا لا ننتقل آليا ، ودون وسائط من الدال الأيقوني إلى ما يوجد خارجه ، فنحن دائما في حاجة إلى وسيط يجعل الرابط بين الطرفين فادرا على توليد دلالة ، أي قادرا على الانضواء فمن نسق يمنح الصورة القدرة إلى انتاج دلالاتها ، فالإدراك النسخة في حدود وجود خطاطة تمكننا من تحديد هوية النسخة .

يختصر ايكو هذا الرابط فيما يسميه "السنن الايقوني فلا يمكن الحديث عن إدراك ، فمن عالم العلامات الأيقونية أو غيرها ، إلا استنادا إلى معرفة سابقه تمكننا من تأويل هذا العنصر ، فمهمة السنن الأيقوني السابق على الإدراك المخصوص تتخلص في إقامة علاقة دلالية بين علامة طباعية وبين مدلول إدراكي مسنن يشكل سابق : أي إقامة علاقة بين العناصر المميزة داخل السنن الطباعي وبين تلك الميزة داخل سنن معتصي يعد هو دالة حصيلة لعملية تسنين سابقه على التجربة المدركة .[2]

وعلى أساس وجود هذه الروابط المخصوصة بين التمثيل الأيقوني وبين بنية التعرف، يمكن القول: إن العلامة الأيقونية لا تملك نفس خصائص الموضوع الممثل ولكنها تعيد إنتاج بعض شروط الإدراك المشترك على أساس وجود أسنن إدراكية عادية، ولا يتم هذا الإنتقاء إلا عبر تعيين بعض الدوافع التي تسمح ، من خلال اقصائها لدوافع أخرى ، بتحديد بنية إدراكية ، إن هذه البنية تمتلك انطلاقة من التجربة المحصل عليها ، نفس دلالة التجربة الواقعية التي تشير إليها العلامة الأيقونية .[3]

ولشرح طبيعة الترابط بين البنيتين يمكن أن نقدم مثالا يوضح ذلك ، ويتعلق الأمر برسم هو عبارة عن مجموعة من الخطوط التي تشكل في تألفها ما يشبه الهيكل العام الخاص بالفصيلة البشرية :

فالمؤكد أن هذا الرسم لا يشبه في شيء كائنا بشريا كما تقدمه التجربة الفعلية ، ورغم ذلك لا أحد يتردد في القول .

---

[1]- م.س ، ص 123.

[2] -Eco-la structure absente, P 176.

[3]- م.ن ، ص 181.

وهو يشاهد الرسم ، إن الأمر يتعلق بإنسان فما السر في ذلك ؟ إن الأمر يعود إلى اواليات الإدراك دالة، فما يدركه الشاهد ليس جميعا فعليا، بل مجموعة من الخطوط التي تشكل ، في تألفها ، خطاطة عامة سابقة تختصر داخلها المكونات الأساس للكائن البشري .

إن الشكل الإنساني المحمل عليه من خلال عملية الإستنكار مرتبط بفعل تمثيلي يستعد قواه من قدرته على التجريد التبسيطي لا على استحضار النسخة الفعلية، وهو ما يميز الإدراك عن فعل التمثل كما يتصور ذلك ايزر.[1]

استنادا إلى هذا ، فإن هذه البنية ليست فقط تبسيطا على افقارا للواقع ، إن هذا التبسيط وليد جهة النظر التي يتم تبيينها ، إنني أختصر الجسم الإنساني في بنيته وهيكله ، لأنني أقوم بدراسة الجسم الإنساني من زاوية نظر هذه البنية ، أو من زاوية النظر التي تجعل حيوانا واقفا .

أو ذا قائمتين يمتلك رجلين إحداهما فوقية والأخرى سفلية وعلى هذا الأساس فإن البنية هي نموذج تمت بلورته استنادا إلى قواعد تبسيطيه تسمح لنا باستيعاب مجموعة من الظواهر من جهة نظر معينة .[2]

ووفق نفس الشروط يمكن مقارنة الفعل البصري بالفعل اللغوي، ذلك أن نفس السيرورة التي تقود إلى بلورة المدلولات التي تحول الأشياء إلى أقسام مدركة من خلال ما هو مشترك بينها ، هي ذاتها التي تمكن وراء صياغة الخطاطات التي نستحضرها من أجل إدراك الأشياء وتصنيفها فمن هذا القسم.[3] وخلاصة القول غن الأمر يتعلق بعملية تبسيطية تقودنا من خلال تكرار التجربة وتداولهاّ إلى الاحتفاظ بما هو ملائم في التجربة واستبعاد كل العناصر التي تحيل على خصوصية التجربة أو على سياق مخصوص فما يجعل بعض التجليات البصرية المختلفة من بعضها البعض تبدو وكنسخ متعددة لنفس الشيء يعود إلى كونها لا تعتمد في التحديد إلا على بعض السمات ، فمرجع صورة القط ليس القط الذي التقطت به الصورة .

بل هو فئة القطط مجتمعة الذي لا يشكل هذا القط المخصوص داخلها سوى عنصر معزول ، إذ المتفرج يقوم بشكل سابق بانتقاء العناصر المميزة للتعرف : الحجم ، الشعر ، شكر الأذان وطبيعة الحال لن يأخذ في الحسبان لون الشعر ، إن الصورة (السينمائية أو الفوتوغرافية) لا يمكن قراءتها إلا من

[1] -wolfgang iser : l'acte de lecture , éd. Mardaga , 1985, P 248.

[2] -Umberto Eco, le signe , P 94.

[3]- سعيد بن كراد ، سميائيات مناهجها وتطبيقاتها ، ص 126.

خلال التعرف عن أشياء ، والتعرف معناه خلق أقسام ، بحين إن القط الذي يبدو في الصورة بشكل جلي ، سيتم تسريبه من خلال نظرة المتفرج .[1]

حيث أن نظرة المتفرج في هذه الحالة حاسمة ، فما تدركه العين ليس مادة ولا جوهرا ولا واقعة معزولة ، إن ما يتسرب إلى الذهن هو صورة مجردة تحقق الواقعة المخصوصة ، ويمكن القول في هذه الحالة إن الأمور يتعلق بنسقين يطال التجربة الأيقونية في افق لخلق سنن أيقوني .

إن الانتقال من الدال الأيقوني إلى ما يحيل عليه يتم انطلاقا من عملية تسنينية قائمة على خلق بنية مكونة من عناصر هي حصيلة لقاء بين تجربتين مختلفتين : تجربة واقعية ثم اختصارها في عناصرها الأولية المميزة ، وعلامة أيقونية تعيد بناء هذه العناصر وفق قوانينها الطباعية الخاصة .[2]

ولم تتردد جماعة هو في الحديث عن برمجة مسبقة مودعة في الأجهزة الخاصة بالتعرف على الصور، وهي برمجة بيولوجية ومن طبيعة كونية، فالإدراك عند هذه الجماعة من الباحثين لا يمكن أن يصبح فعلا إلا عندما نستحضر النشاط التذكري ، حينها نمو من النسخة إلى السلسلة ، ومن الحدث إلى النوع ، وهذا الانتقال هو الذي يسمح لنا بالحديث عن مقولة الموضوع ، وفي هذه الحالة فإننا ننتقل نهائيا إلى الميدان الثقافي أي إلى ميدان النسبية .[3]

انطلاقا من هذا التصور العام للإدراك الأيقوني ، تقدم لنا الجماعة ، في مجال بناء العلامة الأيقونية ، ونمط اشتغالها تصورا أصيلا يضع حدا لأي تشابه في الاشتغال بينها وبين بناء العلامة اللسانية ، وهو تصور يستند ضمنيا إلى مقترحات بورس في مجال التوزيع للعلامة ، فالعلامة تتكون من ثلاثة عناصر مرتبطة بينها وفق علاقات مخصوصة : الدال الأيقوني ، النوع والمرجع .

2- **الصورة وانتاج المعنى** :

إن الصورة لا تحضر في الذهن باعتبار وجودها المخصوص، بل تأتي إلى العين من خلال خطاطة مجردة يطلق عليها البنية الإدراكية أو سنن التعرف ، فالفعل الإدراكي يبحث في المعطيات الموصوقة عما يتطابق مع الخطاطات المجردة التي تمد بها الثقافة اطار الصورة، وحين يتم هذا التطابق تبدأ عملية التعرف والتسمية والتصنيف ، إلا أن الأمر لا يتجاوز في هذه المرحلة حدود ما هو موجود خارج الذات، وتصنيفه ضمن هذا القسم من الأشياء ، إلا أن العمليتين معا تشتركان في خاصية واحدة : حاجتهما

[1] - Louri lotman : la structure du text artistique , éd. Nathan, P 98.

[2]- سعيد بن كراد ، سميائيات مناهجها وتطبيقاتها ، ص128 .

[3] -traite du sugne, PP 79-80.

إلى تسنين مسبق ، فالصورة لا تدل من خلال طاقتها المعنوية الذاتية المفصولة عن أي سياق ثقافي ، بل تدل من خلال مجمل الأحكام التقييمية التي تنسجها الثقافة مرحلة ما كما يقول إبن سينا : في الوجه دال على وجود إنساني وذلك مبدأ للتعرف وكفى إلا أن هذا الوجه ذاته يدل في سياقات متعددة على قيم دلالية باللغة التنوع ، إنه يتحول إلى لغة تستمد دلالاتها من سياقاتها المتنوعة ، ولهذه اللغة موادها وأشكالها وطرقها في التحقق .[1]

يمكن القول أن اللغة البصرية التي يتم عبرها توليد مجمل الدلالات داخل الصورة هي لغة بالغة التركيب والتنوع وتستند من أجل بناء نصوصها إلى مكونين :

1-ما يعود إلى العلامة الأيقونية .

2-ما يعود إلى العلامة التشكيلية .

فالصورة تستند من أجل انتاج معانيها ، إلى معطيات التي يوفرها التمثيل الأيقوني كإنتاج بصري لموجودات طبيعة تامة بوجود أجسام ، حيوانات ، أشياء من الطبيعة ..) وتستند من جهة ثانية إلى معطيات من طبيعة أخرى ، أي إلى عناصر ليست لا من الطبيعة ولا من الكائنات التي توانت هذه الطبيعة ويتعلق الأمر بما يطلق عليه التمثيل التشكيلي للحالات الإنسانية ، أي العلامة التشكيلية : الأشكال والخطوط والألوان والتركيب .[2]

إن مضمون أو المضامين الدلالة للعودة هي نتاج تركيب يجمع بين ما ينتحي إلى البعد الأيقوني وبين ما ينتمي إلى البعد التشكيلي مجسدا في أشكال من صنع الإنسان وتصرفه في العناصر الطبيعة، وما راكمه من تجارب أودعها أثاته وثيابه وألوانه وأشكاله وخطوطه ، وتعد الصورة من حدة الزاوية ملفوظا بصريا مركبا ينتج دلالاته استنادا إلى التفاعل القارء مستويين مختلفين عن الطبيعة ، لكنهما متكاملان في الوجود : فكما أن العلامة الأيقونية تشير إلى تركيب لمجموعة من العناصر المؤدية إلى إنتاج دلالة ما ، فإن العلامة التشكيلية لا تشتغل باعتبارها كذلك إلا في حدود تأويلها ككيان حامل لدلالاتها.[3]

وخلاصة القول إن مجمل الدلالات التي تثيرها الصورة من خلال بعديها الأيقوني والتشكيلي ليست وليدة مادة مضمونية دالة من تلقاء نفسها ، وليست وليدة معاني قارة ومتبنة في أشكال لا تتغير، إنها أنتربولوجية مشتقة من الوجود الإنساني ذاته، فهي لذلك ليست سابقة على الممارسة الإنسانية ،

[1] - سعيد بن كراد ، سميائيات مناهجها وتطبيقاتها ، ص 132.
[2]- ن.م ، ص 133.
[3]- ن م ، ص 134.

إنها في الممارسة وجزء منها ، ومرتبطة بخطاب إنساني يطمح إلى منح الظواهر الطبيعية أبعادا دلالية تتجاوز الأبعاد المادية الوظيفية ، ولهذا فالألوان والأشكال والخطوة تتسرب إلى الصورة محملة بدلالتها السابقة، فالأحمر في الصورة موجود باعتبار دلالته السابقة لا باعتبار وجوده المادي كلون فمن ألوان أخرى ، وكذلك الأمر مع الأخضر والأزرق والأبيض ، ويصدق على اللون يصدق على الشكل الهندسي(المربع ، المثلث ، المستطيل ، الزوايا) فهذه الأشكال دلالات أخرى غير الشكل الهندسي للفضاءات مقتطعة من كون لا حد له، وهذه الدلالات تعتني البعد الأيقوني وتنوع من دلالاته، وما يصدق على البعد التشكيلي يصدق على البعد الأيقوني .

وأن اللون لا يملك دلالة قارة وثانية ومشتركة بين جميع الكائنات البشرية ، فهذه الدلالة ليست سابقة على الممارسة الإنسانية ، وليست سابقة كذلك على تجسد اللون في حالة من الحالات الإنسانية ، ومن جهة ثانية لا ترتبط الدلالة باللون ذاته، إنها وليدة التقابلات الممكنة بين الألوان ، وهذه التقابلات هي المحددة لدلالة الملفوظ البصري ، أي دالة داخل تحقق خاص .[1]

ويأتي اللون إلى الصورة إلا مجسدا في أشياء أو مجسدا في ملابس أو تستوعيه أشكال كالمثلث والمربع والدائرة وفي كل حالة من هذه الحالات نكون امام دلالة بعينها أو دلالات .[2]

فتمازج الألوان بالأشكال سيؤدي إلى خلق دلالة جديدة ، ويؤدي إلى تغيير في دلالة اللون الواحد .

لقد عبر كانديسكي عن نمو الأشكال وتداخلها ، بنفس روحاني قل نظيره، فالأفضل في كل شيء هو تقابل بين صمت وكلام ، وبين سكون وحركة ، لذلك فإن النقطة هي أصل الأشكال ، إنها منطلق كل تعبير تشكيلي ، لذلك فهي نرمز خارج أي سياق ، إلى الرابط الوحيد والنهائي بين الصمت والكلام ، وهي باعتبارها علامة على الوقف ، صمت وكلام في الآن نفسه (...).[3]

والخط هو أثار النقطة المتحركة أي نتاجها ، ومع الحظ ننتقل من السكونية إلى الدينامية، فهو نتاج قوة أو مجموعة من القوات ، حين أن الخط المستقيم متولد عن قوة واحدة (أفقية باردة، عمودية حارة ، مائلة بحرارة متغيرة) ، ان العالم داخل الصورة هو عالم مليء بالحركة تحكمها علائق بين اجزائها وفق نظام معين تقوده قواعد تعود للمضامين الثقافية التي يشكلها المجتمع .

[1]- م.س ، ص 150.
[2]- ن م ، ص 150.
[3]- ن.م ، ص 150.

ملحـــق

تعريف الناقد سعيد بن كرّاد :

ونجد الكثير من العرب المفكرين هبو لدراسة الأنساق السميائية ومن بينهم الناقد سعيد بن كراد الذي خصص لها العديد من الكتب وفصول يتحدث فيها عن سميائية الأنساق الغير لغوية ، الذي هو موضوع بحثنا ، فمن هو الناقد سعيد بن كراد ؟ وما هي انجازاته ؟

سعيد بن كراد أكاديمي ومترجم مغربي ، أستاذ السيميائيات بكلية الأداب والعلوم الإنسانية ، جامعة محمد الخامس أكدال ، الرباط المغرب، ويعد من أهم المتخصصن في السيميائيات في العالم العربي، المدير المسؤول لمجلة علامات التي صدر عددها الأول سنة 1994 وهي مجلة متخصصة في الدراسات السميائية .

أهم انجازاته :

نشر سعيد بن كراد عشرات المؤلفات منها :

-وهج المعاني : سميائيات الأنساق الثقافية ، المركز الثقافي العربي 2013.

-النص السردي : نحو سيميائيات الإيديولوجيا 1996 وعدد من الترجمات منها : رسالة في التسامح لفولتير 2015.ودروس في الأخلاق لأمير توايكو 2010.

-تاريخ الجنون في العصر الكلاسيكي لميشيل فوكو 2005 بيرغار كاتولا : الإشهار والمجتمع 2012.

-قريماس فونقني : سيميائيات الأهواء ، ترجمة وتقديم سعيد بن كراد دار الكتاب الجديد بيروت 2010.

السرد الروائي وتجربة المعنى ، المركز الثقافي العربي 2008.

امبرتو ايكو العلامة تحليل المفهوم وتاريخه ترجمة سعيد بن كراد المركز الثقافي العربي 2007.

-كتاب دافيد فيكتوروف : الإشهار والصورة ، صورة الإشهار ترجمة سعيد بن كراد منشورات فنان بيروت 2014. الدستور المغربي الجديد في سيميائيات الخطاب السياسي منشورات الزمن 2014.

-غي غوتني الصورة المكونات والتأويل ترجمة سعيد بن كراد المركز العربي 2012.

الخاتمـــة

الخاتـــــمة

هذه أهم فصول وأفكار هذا البحث الذي إختص بدراسة الأنساق التواصلية في كتابات سعيد بن كرّاد ، حيث إنطلقنا في البحث من إشكالات فصلناها إلى فصلين ومباحث.

وبعد التوسع في ثنايا هذا البحث توصلنا إلى النتائج الخاصة بهذه الدراسة والتي يمكن إختزالها فيما يأتي :

إن السميائيات من المعطيات التي إستخدمت في مجالات علمية متعددة مند وقت مبكر ، عرفت في مجالها اتساعا كبيرا وشملت سلطتها كل الوقائع الإنسانية واستقلت بموضوعها ومعرفتها وأسسها السيميولوجية ما يتعلق بقضايا العلامة الفلسفية ، فإن المعرفة اللسانية مازالت تؤدي دورا في وصف الوقائع غير لسانية وتصنيفها كأداة للتواصل .

تعنى السميائية بكل ما يمكن إعتباره إشارة ، تأخذ هذه الإشارات شكل كلمات وصور وأصوات وإماءات وحركات مصاحبة أخرى .

إن العرب القدامى قد تفطنوا في وقت مبكر إلى قيمة العلامة وكانوا يجتهدون في دراستها في تفسير القرآن الكريم .

ومن خلال ما تناولناه في الجانب التطبيقي وما جاء به السعيد بن كرّاد الذي يعد من أهم الباحثين و الدارسين الذين تأثروا بالمنهج السيميائي ، حيث ألف عدة كتب في هذا المجال من بينها "سميائيات مفاهيمها وتطبيقاتها" الذي ساعدنا في إعداد أفكار هذا البحث. فرأى أن الوقائع غير اللسانية شبيهة من حيث الجوهر التواصلي والبعد التدليلي بالوقائع اللسانية .وهي حبيسة البناء الثقافي الذي يتباين من مجتمع إلى آخر .

كما يجعل الباحث بن كراد الجسد نصا ، و يضم طاقات تعبيرية إيمائية تتجاوز البعد النفعي للجسد إلى إستعمالاتها الإستعارية المتنوعة ،في حالة إنتاج ملفوظات ،أو القيام بحركات .

وفي الأخير نحمد الله تعالى الذي وفقنا في تقديم هذا البحث الذي أعطى أهمية لدلالة الأنساق اللغوية وغير اللغوية، ودورها في تحقيق التواصل بين أفراد المجتمعات اللغوية .

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا وحبيبنا محمد عليه أفضل الصلاة والسلام .

المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

أ-مراجع البحث

1- أمبرتو إيكو، التأويل بين السيميائيات والتفكيكية، ت. سعيد بن كراد، المركز الثقافي العربي، 2000

2-بشير تاوريرت : مناهج النقد الأدبي المعاصر ، دراسة في الاصول والملامح والإشكالات النظرية والتطبيقية ، ط1، دار الفهر، الجزائر ، 2006.

3-بير جيرو : علم الإشارات ، السميولوجيا، دار الطلاس، دمشق، 1988 ،بيروت، ط1 ، 2009.

4- تجليات الجسد، تجليات الإنسان ، افتتاحية مجلة ابداع ، العدد 9 سبتمبر 1997.

5-ترنس هوكز، البنيوية وعلم الإشارات ، تر : مجيد ماشطا ، دار الشؤون الثقافة العامة ، بغداد ، ط1 1986.

6-الجاحظ، البيان و التبيين ، ج1 د ط، 2004 ، ديوان المطبوعات الجامعية ، بن عكنون الجزائر.

7 -الجرجاني(علي بن محمد بن علي)، كتاب التعريفات تحقيق ابراهيم الأبيار، دار الكتاب العربي، 1992.

8 -ابن جني : خصائص ، دار الكتاب العربي بيروت ، تحقيق محمد علي النجار1955 ، ج1 .

9-جوليا كريستيفا : برنامج حساء المعرفة ، قناة التلفزة الفرنسية الاولى ، 1998.

10- دانيال تشاندلر: أسس السميائيات ، تر. طلال وهبة ، توزيع مركز الدراسات الوحدة العربية ، بيروت لبنان، ط1. 2008

11- دي سوسير: محاضرات في الألسنة العامة ، ت. صالح القرمادي وآخرين ، دار العربية للكتاب طربلس ، ليبسا ، 1985.

12- ابن رشد ، تلخيص كتاب العبارة لأرسطو، حققه، د. محمود قاسم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1981.

13-رولان بارث ، مبادئ علم الأدلة ، ت. محمد البكري ، دار الحوار ، اللادقية ، 1990.

14- سعيد بن كراد ، السيميائيات مفاهيمها وتطبيقاتها، دار الحوار للنشر والتوزيع، سوريا، اللادقية ، ص ب 1018 ، ط3 ، 2012.

15-إبن سينا ، الشفاء، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر ، تحقيق محمود الخضري.

16- سيزا قاسم ، مدخل إلى السيميوطيقا ، منشورات عيون المقالات ، الدار البيضاء ، المغرب ، ج1

17- عبد القاهر الجرجاني : دلائل الإعجاز ، منشورات مكتبة الخانجي ، القاهرة ، 1984.
18- عبد الكبير الخطيبي ، الاسم العربي الجريح 1974 ، ترجمة الشاعر محمد ينيس ، منشورات دار العودة ط1 ، 1980.
19- عبد الواحد المرابط ، السمياء العامة وسمياء الأدب ، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، طهر مهراز ، فاس ، 2005.
20- علي شناوة الوادي ، النقد الفني دراسة في المفاهيم والتطبيقات ، الرضوان للنشر والتوزيع، عمان ، 2013.
21- الغزالي، معيار العلم في المنطق، شرحه أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1990.
22- فيصل الأحمر ، الدليل السميولوجي ، دار المحبة للنشر والتوزيع ، الجزائر ، ط1 ، 2011.
-السميائيات الشعرية ، جمعية الإمتناع والمؤانسة ، د ط ، 2005.
-معجم السميائيات ، الدار العربية للعلوم ناشرون ، بيروت ، منشورات الاختلاف، الجزائر ، ط1 (1431 هـ-2010م).
23- فؤاد منصور ، حوار مع جوليا كريستيفا، مجلة الفكر العربي ، العدد 1982/18 بيروت .
24- فراس السراج ، المعنى والأسطورة ، دار علاء الدين ، دمشق ، 1996.
25- محمد عزام ، شعوبة الخطاب السردي ، اتحاد كتاب العرب ، دمشق ، 2005.
26- محمد مفتاح، تحليل الخطاب الشعوي ، استراتيجية التناص، مركز التعاون العربي، بيروت،1980.
27- محمد الماكري، الشكل والخطاب، مدخل لتحليل ظاهرتي ، ط1، 1991 ، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء في المغرب ، بيروت لبنان .
28- ابن منظور ، لسان العرب ، دار صادر بيروت ، للطباعة والنشر/12 ، 1968
29- مونان جورج ، مقدمة للسميولوجيا ، باريس ، 1970.
30- مجدي وهبة، قاموس الألفاظ الأدبية، مدخل رمز،دار النشر والتوزيع، مكتبة لبنان بيروت، 1974
31- نصر حامد أبوزيد، اشكالات القراءة وآليات التأويل ، ط6 ، 2001 ، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء ، المغرب ، بيروت لبنان .

ج- المراجع الأجنبية :

32-Aj Greimas : Sémantique structurale, éd. La rousse , paris , 1966.

33- Aj Greimas : J courtés , dictionnaire raisonné de la théorie du langage, sens.

34-André lalond : vocabulaire technique et critique de la philosophie, article immanence.

35-Bernard Pottier : théorie et analyse en linguistique.

36-Catherine Kerbat : orechioni : la connotation, éd Pul, 1997.

37-C.S pekrce : écrit dus le signe , éd. Seuil , 1978.

38-Greimas, AH fontamille, Jaques : sémiotique des passions , éd. Seuill, Pars 1991.

39-Ernest camirerer ; essai sur l'homme , éd . minuit 1975.

40- Eliseo veron : sémiosis de l'idéologie et du pouvoir, in communication 28, 1978.

41- J. coouet, semantiove de paris, H. P. Paris 1970.

42- Merleau ponty (maurice) : phénoménologie de la perception ed. gollimard 1945.

43- Pulcinelli portlandien : silence , sujet Histoire , Bruxelles.

44- Thamas : Albert sebeokn éd … encyclapedic of semiatics, 73 éditorial bourd, paul Boussac. (et al) 2 nd et . mouton de gryter 1994.

45- Imberto Eco : sémiotique et philosophie du langage , éd , Puf, 1988.

46-Umberto Eco : kant et l'ormithrinque , et grasser 1997.

tzvetan todorove : théorie di symbole , éd. Seuil 1977.

47- vincent michael colapietro, clonsary, readind and writing (paragon house) , 1993.

الفهـــــرس

مقدمة ..... أ

تمهيد 02

الفصل الأول : سميائيات الأنساق اللغوية لدى سعيد بن كرّاد

المبحث الأول : النسق اللغوي..... 12

المبحث الثاني : النسق غير اللغوي..... 29

الفصل الثاني : سميائية الأنساق غير اللغوية لدى سعيد بن كرّاد

المبحث الأول : سميائية الحركات المصاحبة (لغة الجسد)..... 32

المبحث الثاني : كيف نمنح الواقعة التواصلية بعدا سميائيا..... 43

المبحث الثالث : سيميولوجيا الأنساق البصرية 53

الملحق 63

الخاتمة 65

المصادر والمراجع..... 67

الفهرس 70

ملخص :

تحاول هذه الدراسة عرض لمجموعة من العناصر الخاصة بالهوية النظرية والتطبيقية للسيميائيات ونعرض في الفصل الأول سيميائيات الأنساق التواصل لدى سعيد بن كراد حيث عمل على إبراز النسق اللغوي والنسق غير اللغوي .

أما الفصل الثاني فكان الفصل التطبيقي الذي يخص سيميائية النسق غير اللغوي لدى سعيد بن كراد ، فتطرقنا إلى دراسة سيميائية الحركات المصاحبة (لغة الجسد) .

كما تداولنا فيه جانب آخر هو سيميولوجيا الأنساق البصري أما خاتمة البحث فقد إكتفينا فيها بذكر أهم النتائج التي توصلنا إليها.

الكلمات المفتاحية : السيميائيات – الأنساق – السيميولوجيا .

Résumé :

Cette étude tente de présenter un ensemble d'éléments de l'identité théorique et appliquée de la sémiotique.

Le premier chapitre la sémiotique des modèles communicationnelles de Saeed bin Karad, ou il a travaillé à mettre en évidence les systèmes linguistiques et non linguistiques .

Quant au deuxième chapitre, c'est le chapitre appliqué qui traite de la sémiotique du format non linguistique de de Saeed bin Karad, dans le quel nous avons abordé d'étude de la sémiotique des mouvements.

D'accompagnement (langage corporal) et de l'incident communicatif.

Nous avons également discuté un autre aspect, qui est la sémiologie des modèles visuels.

Quant à la conclusion de la recherche , nous sommes contentés de mentionner les résultat les plus importants auxquels nous sommes parvenus.

Mots clés : la sémiotique - des modèles - la sémiologie

Abstract :

This studay attempts to present a set of elements of the theoretiocal and applied of semiotics.

The first chapter the semiotics of communicative patters of Saeed bin Karad , weere he worked to highlit the linguistic and non linguintic systems througt .

The second chapitre , it was the applied chater that deals with the semiotics of the non linquistic fromat of saeed bin karad, in which we touched on the studay of the semiotics of the accompanying movements (body language).

We also dixussed amother aspect in it which is the semorology of visual patterns.

As for the conclusion we sufficed with mentroning the most important results that we reached.

Key words :

the semiotics – communicative - the semorology